ظاهرة الجنون / الحقول والعلاقات

أ.د علي ابراهيم محمد
جامعة بابل /كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

ايمن عبد الله عباس
جامعة بابل /كليَّة التربية للعلوم الإنسانيّة

الملخص :-

يشغل الجنون بصفته (ظاهرة) حيزا كبيرا من التاريخ الانساني ويمتزج مع الكثير من الظواهر الاخرى وابرزها بعض الممارسات في الاديان غير السماوية , بل يقترب ليتماهى مع الكثير من الطقوس الدينية القديمة وطقوس اخرى متعلقة بالأساطير بشكل عام . وتشترك الاساطير والاديان في صيغة فهمها للجنون, وجاءت النصوص الاسطورية والنصوص الدينية بحمولة سردية تتحدث عن المجنون وتقف منه موقف متباين بين الاقصاء واعتبار الجنون لعنة الالهة وبين المباركة وتقديس المجنون واعتبار الجنون نوعا من الالهام الالهي.

اما الادب فمنذ اللحظة الاولى للتدوين كان يستثمر المجانين في الاساطير والملاحم القديمة وصولا الى العصر الحديث وفي النصوص الحديثة في الشرق والغرب . فنجد المجنون حاضرا في الشعر والنثر الفني وهو يعبر عن غياب العقل وانحراف في سلوكيات المجنون من خلال تفاعله من المجتمعات ليتم توظيف هذه الانحرافات بشكل ابداعي في النصوص الادبية .

اما الفلسفة الحديثة فقد تناولت الجنون بصفته خطابا لمجتمع ولسلطة متنفذة استغلت موقف المجنون وضعفه باتجاه اقصاءه وتهميشه ثم تطور الحال بهذه السلطات ان اصبحت تستثمر تهمة الجنون بإلصاقها بخصومها للتخلص منه .

المجنون هو الحكيم وهو الدرويش بمفهومه الشرقي الديني, وهو الوحش والخطر الكامن وغياب العقل في وجه من وجوهه, وهكذا تختلف الآراء في الجنون وفي المجانين وترسم صورهم بشكل متباين وفقا لنوع المجتمع الذي يعيشون فيه ووفقا لتوظيف تلك الصورة او وفقا للفهم الفلسفي المعاصر لهذه الشريحة من الناس .

الكلمات المفتاحية :-الجنون – الفلسفة –الاديان –الشعر –النثر الفني

Abstract :-

As a phenomenon (madness), madness occupies a large part of human history and mixes with many other phenomena, the most prominent of which is religious phenomena. Rather, it comes close to identifying with many ancient religious rites and other rituals related to myths in general. Myths and religions share a formula for their understanding of madness. Legendary texts and religious texts came with a narrative load that speaks of the madman and stands from it a contrasting position between exclusion and the consideration of madness as the curse of the gods and the blessing and sanctification of the madman and the consideration of madness as a kind of divine inspiration.

As for literature, from the first moment of blogging, madmen were invested in myths and ancient epics, up to the modern era and in modern texts in the east and west. We find the insane present in poetry and artistic prose, which expresses the absence of reason and a deviation in the behavior of the insane through his interaction of societies so that these deviations are used creatively in literary texts.

As for modern philosophy, it dealt with madness as a speech to society and an influential authority that took advantage of the position of the insane and his weakness towards exclusion and marginalization.

The madman is wise, and he is the dervish in his eastern religious concept, and he is the beast, the inherent danger and the absence of the mind in one of its faces. Thus, opinions differ on madness and madmen and their pictures are drawn differently according to the type of society in which they live and according to the employment of that image or according to the contemporary philosophical understanding of this group of people .

key words :- Madness – Philosophy – Religions – Poetry – Artistic Pros

المبحث الاول

ظاهرة الجنون الحقول والعلاقات

السيرورة التاريخية ـ مفهوم الجنون لغةً ـ مفهوم الجنون اصطلاحاً

اولا : الجنون سيرورة تاريخية

تشترك البحوث التي تعتمد المنهج التاريخي أحيانا بظهور حزمة من الظواهر المتشابهة التي تتوافر عليها وهي تتقهقر متحركة على منحنى تطور البشرية وتتبع هذا المنحنى انطلاقا من مرحلة يشيع تسميتها بمرحلة (طفولة الشعوب), ويكمن وجه الشبه والنمطية التي يصطبغ بها البحث الذي يتبنى المنهج التاريخي في تقارب الاسباب والعلل التي تفسر ظاهرة ما في الغالب من حيث طريقة التفكير البدائي المفارق للعقل طالما كانت الحركة في تلك الحقبة . فحينما يكون الحديث دائرا في فلك علم الانثروبولوجيا فلا غرابة في ظهور تقارب ما في النتائج والعلل المحركة لهذا الموضوع . ويمكن ان ندعي أن من اهم اسباب هذا التشابه وهو ان (الاسطورة أو الخرافة) هي الفاعل الاقوى والمحدد الذي ينطلق منه الانسان في تلك المرحلة ـ طفولة الشعوب ـ حيث القرون المتقدمة التي عاشت زمن مفارقة العقل , بل ظلت الذات الانسانية تعاني وطأة اللاعقل , فتمتد ايادي الالهة في كل مرة وتحرك خيوط اللعبة لذا ظلت الذات الانسانية تعاني ضياعا غير محسوس لقرون طويلة الى حين بزوغ فجر العقل الذي اعاد الذات الى عقلانيتها, وكان الفلاسفة اليونان سباقون في هذا الميدان, فهم الذين أصلوا موضوع العقل وبدأوا بالوصول الى بعض الحقائق العلمية بعد اعتمادهم ما يمكن ان نطلق عليه المنهج العقلي في ذلك الحين "واوضح مثال على ذلك هو الفيلسوف سقراط الذي ازدرى الآلهة ,وعمد, وتلميذه افلاطون, الى تحليل مكونات النفس البشرية وهي : العقل والروحانية والعواطف والروح , ومضى تلميذه افلاطون , في المسار ذاته , حين أعلن أن الانسان حيوانا عاقلا يحيا ضمن نظام الطبيعة"[1], ويشير روي بورتر صاحب كتاب موجز في تاريخ الجنون الى ان القرن السادس قبل الميلاد هو القرن الذي شهد ولادة مفهوم العقل بالمفهوم الفلسفي على ايدي الفلاسفة اليونانيين , فهو يشير الى هذه اللحظة المفصلية في تاريخ الجنس البشري إذ كانت هذه اللحظة َإيذانا بظهور سطوة العقل واهميته على يد الفيلسوف اليوناني افلاطون تحديدا .

وأما مفهوم اللاعقل عند أفلاطون فيشمل الجانب (العاطفي) و(الغرائزي) كمضامين وعناصر تنضوي تحت مسمى اللاعقل, وربما يتحقق ذلك في الجانب الغرائزي أكثر, وتقف معه في مناكفة العقل والفضيلة التي نادى بها هؤلاء الفلاسفة, لكن **الجنون** بصفته موضوع مستقل لم ينل الاهتمام الكافي الا في مراحل متأخرة, ولم تكن الفلسفات الأخرى اللاحقة لفلسفة افلاطون ببعيدة عن تبني هذه النظرية (أفكار افلاطون) بل اتفقت الفلسفات اللاحقة على مضامين فلسفة افلاطون نسبيا مثل الفلسفة الرواقية والفيثاغورية "التي ارتاعت من القوى الاولية والجبارة التي تعطل عمل العقل , فإنها عرت اللاعقلاني ورأته خطرا وعارا يتوجب على العقل او الروح مكافحته ومغالبته"[٢] .

وهنا وفي هذه اللحظة يكون الجنون قد شهد ميلاده الرسمي (بمفهومه البدائي) حيث التناقض مع ما هو عقلي والانتماء الى عوالم اللاعقل , وبطبيعة الحال فَإن مفهوما قد ولد وسيستمر بالثبات والتبلور الى صور اكثر دقة, وسيكون هذا المفهوم (اللاعقل) محور الصراع الذي ستشهده البشرية في تسمية ما هو عقلي او لا عقلي وسيكون التماهي الخطير بين تخوم العقل و اللاعقل أحدى تجليات هذا الصراع , ومن ثم سيكون **الجنون امرا نسبيا** في حدوده تبعا لمحددات معينة منها (الزمن) وهو اهمها, ومنها جغرافية المصطلح التي يتحرك ضمنها, ونوع الممارسات وانتمائها الى هذه الامة او تلك .

لذا فإن ما هو عقلي بالنسبة الى أمة من الامم او جماعة من الجماعات ليس بالضرورة أنه سيكون عقلانيا بالنسبة الى جماعة اخرى, واكثر ما يجسد هذه النسبية هي الممارسات والاعتقادات والطقوس التي تصب في الانشطة الدينية (وبالأخص الديانات الارضية والوثنية) ,التي لها عالمها المحكوم بيد الغيب والتي تجاهل صوت العقل في بعض تفاصيلها وحيثياتها .

ثانياً : مفهوم الجنون لغة

يقود البحث عن دلالة كلمة (الجنون) في اللغة الى تعالق كبير بين كلمة (الجنون) ومفردات كثيرة اخرى كـ(الحمق, الوسوسة, المس...) ويتعزز هذا التعالق وتتضح صورته اكثر بالعودة الى بعض ما كتب عن الجنون في مكتبتنا الادبية العربية قديما وحديثا اذ نجد ان العلاقة بين الجنون وهذه الالفاظ التي وردت عند الثعالبي وآخرين والفاظ اخرى كثيرة, إن هذه العلاقة وطيدة الى درجة جعلت ظاهرة الجنون تقترن **بالحمق** كثنائية غالبا وبالأخص في تراثنا الادبي القديم, حيث يذكر الخصخوصي هذه الثنائية (الحمق والجنون) وتواترها "وقد كان من الطبيعي ان نقرن الحمق بالجنون, ذلك أن حقليهما الدلاليين متداخلان آنا متلابسان آونة مثلما تدل على ذلك أصولهما سواء طبقا لما تشهد به معاجم اللغة أو وفقاً لما يقدمه التعريف الاصطلاحي باعتبار الحمق نقصا في العقل والجنون فقدا له . وقد وجدنا المؤلفين لا يكادون يفرقون بين الحمقى والمجانين ولا يميزون بين مفهومي الحمق والجنون فهم يجمعون في غير حرج هؤلاء و أولئك ويعوضون بغير ارتياب هذا المفهوم بذاك"[٣] . لذا كان من المناسب ان نشير الى هذا التعالق قبل أن نتجه للمعاجم للاستقصاء عن دلالة كلمة (الجنون) .

وفي المعاجم نطالع دلالة مفردة الجنون وجذورها اللغوية :-

"جِنْ : جَماعةٌ وِلد الجان , وجمعهم الجِنةُ والجِنانُ ,سُمّوا به لإستجْنانِهم مِنَ الناسِ فَلا يَرونَ ,والجانُّ أبو الجن خُلقَ من نار ثم خُلقَ نُسلهُ .

والجان : حَيّةٌ بيضاءُ, قال اللهُ عزّ وجلْ :(تهتزُّ كأنّها جانٌ ولّىّ مدبرا) .

والمَجنّةُ : الجنونُ , وجُنَ الرجلُ , وأَجنّهُ اللهُ فهوَ مجنونٌ وهم مجانينْ .ويُقالُ بِهِ : جِنةٌ وجُنونٌ ومجنّةٌ , قال:

منَ الدارِميين الذينَ دماؤُهم شفاءٌ منَ الداءِ والمجنةِ والخبلِ "[٤]

و "الجِنّةُ الجُنونُ ايضا . وفي التنزيلِ العزيز : أمْ بهِ جِنّةٌ, والاسم والمصدرٌ على صورةٍ واحدةٍ , ويقالُ : جِنّةُ وجُنُونٌ ومَجنّةٌ , وأنشدَ:

الدارمِيينَ الذينَ دماؤُهمْ شَفاءٌ منَ الداءِ المَجنّةِ والخَبَلِ

والجِنّةُ :طائفُ الجنِ , وقدْ جُنّ جِنا وجُنونا وإسْتَجَنَّ , قالَ مليحُ الهُذَلِيُّ :

فلمْ ارَ مِثْلِيَ يَسْتَجِنُّ صَبابةً منَ البينِ او يَبْكِي الى غيرِ واصلِ

وتَجَنَنَ عليهِ وتَجانَّ وتجانَنَ : ارى مِنْ نَفسِهِ إنَّه مَجنونٌ . وأَجَنَهُ اللهُ ,فَهوَ مجنونٌ , على غيرِ قياس , وذلك لانهم يقولون جُنَّ ,فبُنِيَ المفعول من أَجَنَهُ اللهُ على هذا , وقالوا : ما أَجَنَّهُ , وَقَعَ التَعَجُبُ مِنهُ, وإنْ كانَ كالخَلقِ لأنَهُ ليسَ لونا في الجسدِ ولا بخلقة فيه , وانما هو من نُقصانِ العقلِ .

وقال ثعلبُ :جُنَّ الرجلُ وما أَجَنَهُ , فجاءَ بالتَعجُّبِ من صيغةِ فعلِ المفعول , وإنما التعجبُ من صِيغةِ فعلِ الفاعلِ "[٥]

وقال ابنُ فارس (ت٣٩٥هـ) : "الجيمُ والنونُ أصلٌ واحدٌ ، وهو السَّتْر والتستُّر، وقال ايضا والجِنّة : الجنون ؛ وذلك أنّه يغطِّي العقل . وجَنَانُ الليل : سوادُه وسَتْرُه الأشياءَ ... ويقال جُنَّ النَّبتُ جُنوناً إذا اشتدّ وخَرَج زهره . فهذا يمكن أن يكون من الجُنونِ استعارةً كما يُجَنُّ الإنسان فيهيج ، ثم يكون أصل الجنون ما ذكرناه من السَّتْر. "[٦] .

ويذكر الباحثون ان الجنون يقف مقابلا للعقل في معناه , وربما كان النقيض له, ومن خلال معنى العقل سيكون معنى الجنون قد استوفى دلالته بصورة اكثر وضوحا واكتمالا .

فالعقل في جذوره اللغوية كما "؛ قال ابن فارس : العين والقاف واللام أصلٌ واحد منقاسٌ مطردٌ يدلُّ عُظْمُه على حُبْسة في الشَّيء أو ما يقارب الحُبْسة . من ذلك العَقْل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل .والرجل العاقل هو الجامع لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ من عَقَلْتُ البَعيرَ إذا جَمَعْتُ قوائمه ، وقيل : العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها ، أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ ... وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه " [٧] . فيكون العقل هو العاصم والرادع للذات من افتضاض مساحات الجنون المهلكة احيانا, وستكون هذه الحدود بين العقل والجنون صعبة التمييز في سلوكيات الانسان احيانا ويفسر ذلك اشتمال الانسان على القوى العاطفية والغرائزية التي تساهم في رسم معالم الشخصية وتخطيط مسارها على صعيد السلوك والبوادر , وسيتضح ذلك من خلال مطالعة سير الحمقى والمجانين الذين تنتابهم نوبات صحو احيانا فيكون فيها العقل راجح الظهور ليقبع الجنون في الظل ويتربص اللحظات للخروج من عباءته واقصاء العقل مرة أخرى .

ثالثاً : مفهوم الجنون اصطلاحا

اعتادت العرب **أن** تستعمل لفظَ الجنون للإنسان وغير الانسان من المخلوقات , فتقول ((جُنت النبتةُ اذا غَلُظَت واكتهلت وكَبُرَتْ وعظمَ حجمُها))[٨] , و "يقالُ على النخلةِ أنها نخلةً مجنونةٌ اذا طالتْ وبسُقتْ))[٩] , و((الناقة المجنونة هي الناقة السريعة"[١٠] , ويقال "جُنَّ جنونُ الذباب اذا قويَ طنينهُ وكَثرَ ترنمهُ في طيرانه "[١١] .

ويلاحظ ان المفردة (جَنَنَ) وضِعتْ لوصف الانسان , ثم استعيرت الى بقية المخلوقات , لدلالة الافراط في الشيء وكثرتِه . ويتفق البحث مع المخصوصي في ان "اول معاني الجنون كل ما كان غير عادي او مألوف "[١٢] , وقد يطلق وصف المجنون على الكلام فقد قيل "وأما ابن جلبات فمجنون الشعر"[١٣] , اي ان شعره فاقد للتناسق ويجيء بغير نسقٍ مضطرب

بين الجودةِ والرداءةِ ويشيرُ النيسابوري الى مثل هذا التفاوت المعهود في كلام المجانين "كلام المجانين متفاوت غير مستقيم"[١٤] .

وبالعودة الى المكتبة العربية فإننا نجد جملة من التعريفات , نبتدأ بالتقاط الاقدم منها بغية فهم التطور الدلالي للكلمة وصولا الى الزمن الراهن والمتداول من معاني (الجنون في حدوده الاصطلاحية) .

ففي كتاب عقلاء المجانين لابي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت٤٠٦هـ) يسوق ابو القاسم تعريفين ينقلهما "... عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ مر به رجل فقال بعض القوم :هذا مجنون .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :هذا رجل مصاب , انما المجنون المقيم على معصية الله عز وجل"[١٥] , من الواضح ان الحديث الشريف يصب في الوعظ الديني وآداب التعاطي مع الناس, سيما مع المجانين, وفيه البعد الروحي (العرفاني) واضح جدا .

أما التعريف الثاني فيذكر أن "المجنون عند الناس من يسمع ويسب يرمي ويخرق الثوب , او من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون , ولذلك دعت الاممُ الرسلَ مجانين لأنهم شقّوا عصاهم فنابذوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه" [١٦]ثم يسوق المؤلف الآيات القرآنية ومنها الآية الكريمة "وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين , فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون "[١٧] .

ويتضح من التعريفين ان مصطلح الجنون يطلق على الشخص المجنون استنادا الى اسلوبه او مظهره او كلامه . او يطلق على من يتبنى طرحا مغايرا عما تتبناه بيئته ومجتمعه . والمفارقة هنا تكمن في التعريف الثاني الذي يسرد ردود افعال الامم السالفة (والامم هنا هما ال فرعون وبنو اسرائيل) , إذ نجد ان هذه الامم كانت تقابل الطرح الديني والشرائع السماوية حينما يأتي بها الانبياء بالادعاء ان حامل الرسالة السماوية هو مجنون , وهو لعمري من اشد الامور غرابة حيث ان المنطق العقلائي يفضح تهافت ما يتبنون من الشرائع الارضية اذا ما قورنت مع الشريعة السماوية . لكنهم لمجرد (اختلاف) الطرح والعقيدة رموا الانبياء بالجنون دون الاتيان بدليل او الدخول معهم في مناظرة حجاجية تثبت صحة وجهة نظرهم, اي ان الاختلاف - بصرف النظر عن المعقولية التي يحملها - هو الجنون بالنسبة لهؤلاء .

أما الجنون عند البونسي ت (٦٥١هـ) فيعرفه "الجُنُون آفة تنالُ العقل فتزيله"[١٨] , وسمي المجنون "مجنونا لأنه قد اطبق على قلبه ,واصله من الجن , وهو الستر"[١٩] .

أما علي بن محمد الجرجاني ت(٨١٦هـ) في تعريفاته فيعرف الجنون " الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً"[٢٠] والمجنون "هو من لم يستقم كلامه وافعاله"[٢١] , وتعريفه للمجنون يحتاج الى اعادة نظر لأنه مطلق وقد ينطبق على شرائح كثيرة من الناس كالمخمور على سبيل المثال .

ويعرِّف أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) "الجنون هو اختلاف القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة ، المدركة للعواقب بأن لا يظهر أثرها ويتعطل أفعالها إما بالنقصان الذي جُبِلَ عليه دماغه في أصل الخلقة ، وإما بخروج مزاج الدماغ عن الاعتدال بسبب خلط أو آفة ، وأما لاستيلاء الشيطان عليه وإلقاء الخيالات الفاسدة إليه ، بحيث يفزع من غير ما يصلح سبباً"[٢٢] .

أما الجنون اصطلاحا في المعجم الفلسفي فيذكر ان المفردة في اللغة الفرنسية هي (folie) وفي الانكليزية (insanity) ,وتعريفه "الجنون هو الخلل العقلي الشديد، وقيل هو زوال العقل ، أو فساده"[٢٣] , ثم يضيف الدكتور جميل صليبا "وقد يطلق الجنون على الشذوذ , والوسوسة والحمق والخبل ,والهذيان والتصورات ,او كل ما يخالف الصواب ,او يجاوز حد الاعتدال"[٢٤] وهذا المعنى يأتي متفقا مع ما ذكرناه أنفا من الجنون هو مصطلح قد يطلق على مجافاة الصواب والعقل و الخروج عن الاعتدال والدخول في التفريط او المبالغة في شيء او حد معين .

المبحث الثاني

الجنون بين الاسطورة والاديان السماوية

أولا :- الجنون من المنظور الأسطوري

تشتبك الاسطورة ثم تتلاحم مع جملة من الاصطلاحات الادبية وغير الادبية, وبالأخص حينما يكون البحث عن مصطلح الجنون كما تفهمه الاسطورة وفي مكمنه الاول زمنيا وهي الحقب التاريخية المغرقة في القدم واعني بها الحقبة التي اصطلح على تسميتها بـ(طفولة الشعوب) او العصور القديمة فإن هذا التلاحم والاشتباك سيكون جليا اذ يختلط الجنون باللعنات التي تصبها الآلهة عندما تغضب وتارة اخرى يكون الجنون هو البركة التي تمنحها الآلهة للمساكين والطيبين حينما تكون راضية عنهم, اذ تقف الاسطورة عاجزة عن التفسير عدا أن ترمي مهمة تبيان العلل على كاهل الغيبيات والتفسيرات المفارقة للعقل التي هي من ألمفترض ان تكون موضوعية وهذا مالم يتحقق في تلك الحقب إذ إن الاساطير كانت قد سبقت النضوج العقلي والمناهج العقلية , وإن هذه التفسيرات العقلية قد سُبقت بتفسيرات غرائبية ذات حمولات غيبية و التي تعمد اليها الحضارات القديمة في محاولة تفسير محيطها والظواهر التي تدور فيه , حيث تقف كل محاولات التفسير العقلي وتأتي لاحقا في وجودها التاريخي بعد ان كانت القرون الاولى محكومة بمنطق (الخرافات, الاساطير).

ولكي يكون البحث ضمن مسار الدقة التي يتوخاها نسوق بعضا من تعريفات الأسطورة فيعرفها بعض الباحثين بأنها "بنية ثقافية من مجموع البُنى المكونة لثقافات العالم عبر تطوره الحضاري وعبر سيرورته التاريخية "[٢٥] وعُرّفَت بأنها "حكاية اله او شبه اله او كائن خارق تفسر بمنطق الانسان البدائي ظواهر الحياة و الطبيعة والكون والنظام الاجتماعي واولويات المعرفة , وهي تنزع _ في تفسيرها _الى التشخيص والتمثيل والتحليل ,وتستوعب الكلمة والحركة والاشارة والايقاع وقد تستوعب تشكيل المادة . وهي عقيدة لها طقوسها ..."[٢٦]

وتعرف ايضا "كل مالا يمكن ان يوجد حقا , او ما لا وجود له في عالم الواقع"[٢٧]. ويلاحظ ان مفهوم الاسطورة مكتنز بحمولة دلالية مفادها الارتكاز على الغيبيات ومجافاة العقل نزوحا باتجاه (اللاعقل) ومرد ذلك الى استغراقها في القدم كما اسلفنا , فهي تنطلق من مسوغات غيبية غير واضحة المعالم لتفسر ما يدور في مجتمعات بدائية لم تطأ أقدامها عالم المعقول .

ومن التعاريف ما يذهب بعيدا في مقاربة الاسطورة ويخرجها من أفق المتخيل إلى أفق الواقع التاريخي!, ونصه أن الأسطورة هي "رواية لتاريخ مقدس يخبر عن احداث وقعت, في الزمان الاول , قامت بها الالهة والكائنات الخارقة العظيمة"[٢٨] , ولا يتفق البحث مع هذا الطرح لمجافاته لحقيقة الأسطورة التي يتبناها البحث وهي انها نتاج مخيلة الانسان ومزيج من الحقائق والخرافات ولا يمكن وصفها بأنها تاريخ خالص .

وقد نقلت بعض الاساطير كتابة من اهمها الملاحم كالإلياذة والأوديسا وملحمة كلكامش .. , أما عن علاقة الجنون بالأسطورة فيلخصها ان الاسطورة هي المفتاح الذي تنطلق منه الشعوب القديمة للتعامل مع المحيط وتفسير ما يدور حولها وفي بيئتها, ويغلب على الاساطير الطابع الشفاهي بطبيعة الحال , إذ سبقت ظهور الكتابة بعصور كثيرة , وتتداخل الاسطورة مع كل الظواهر الاجتماعية ومن خلال الاساطير سينفذ **الجنون** ليحمل نصيبه من سمة (اللامعقولية) في الاسطورة وتفسيراتها المجافية للعقل .

ويشغل الجنون بصفته (ظاهرة) حيزا كبيرا من التاريخ الانساني ويمتزج مع الكثير من الظواهر الاخرى وابرزها الظواهر الدينية بل يقترب ليتماهى مع الكثير من الطقوس الدينية القديمة وطقوس اخرى متعلقة بالأساطير بشكل عام , ونسوق جملة من الامثلة على (أسطرة الجنون) او ما يمكن أن نطلق عليه (بالجنون المضاعف), اذ يورد روي بورتر جملة من الامثلة على الحضور الاسطوري للجنون اذكر منها "كان الجنون قديما قدم الجنس البشري, فقد استخرج علماء الاثار جماجم مثقوبة ترجع , على الاغلب, الى المئوية الخامسة قبل الميلاد ,وكانت هذه الجماجم قد ثقبت بأدوات صخرية ,لاعتقاد الناس في ذلك الزمان , ربما ,بأن هذه الثقوب تتيح للشياطين الخروج من جسد المرء الذي تلبَّسته "[٢٩] .

ونعرف من خلال المضمون السابق ان البدايات الاولى لظهور الجنون كانت مصاحبة لولادة الجنس البشري الذي إنماز بتمتعه بهبة (العقل) بشكلها الضيق البدائي , فحينما يشط العقل يحضر الجنون بصفته (اللاعقل) . ولما كانت الخرافة هي الحاكم الاوحد حينذاك عندها اصبح وجود القوى الغيبية متمثلة بشياطين تتلبس العاقل وتطيح بعقله ليظهر المجنون ويعلن عن وجوده الاول والذي سيستمر مع وجود الانسان قديما وحديثا مع تطور المصطلح تبعا للعصر الذي يتحرك فيه. وحين كان الجنون هو خلافا لطبيعة الانسان (العاقل) كان وجود المجنون يحتاج الى تفسير (مفارق للعقل ايضا) يسوغ هذا الكيان المختلف .

وتصاحب الاسطورة مصطلحات عديدة تضفي بعدا غيبيا يحاول أن يفسر تدخل الآلهة بصب العقوبات والأوبئة واللعنات على الخارجين عن ارادتها ومشيئتها المطلقة , ومن هذه المصطلحات (اللعنة) - بحمولتها الاسطورية- والتي تشير الى ان الآلهة قد عاقبت المجنون بفقدانه لعقله وباجتراحه الخطايا التي تغضبها او بإعلانه الخروج عن سلطة الالهة .ومثل هذا المفهوم يمكن ان نجده حتى في الكتب المقدسة إذ يرد في سفر التثنية "لقد كُتبَ , أن الله سيبتليك بالجنون "[٣٠] .

ومع تقدم الفكر البشري باتجاه المنطق العقلي في تفسير محيطه وما يدو حوله يظهر الجنون كظاهرة مرضية تحتاج الى علاج وقد يقف الجنون بصفته مرض عند بعض الأمم مع المسوغات الاسطورية لسبب الاصابة بهذا الجنون , وقد كان علاجهم متماشيا مع الاسباب التي تضعها الاسطورة والتي تسوغ المرض و تصب مجملها في باب (اللعنات) او العقوبات من الالهة في حق المجانين كما أسلفنا .

ونقرأ في مدة ما , أن الجنون في حضوره الأسطوري يلتقي مع حضوره الديني في مناسبات عديدة حيث "ويخبر العهد القديم عن العديد ممن تلبسهم الشيطان , ويروي كيف انزل الله عقابه ب نبوخذ نصر"[٣١] . وفي النص يلتقي المفهوم الديني للجنون مع المفهوم الاسطوري بكونه لعنة الالهة لمسخطيها والخارجين على سلطتها مع الاخذ بالحسبان اختلاف الاعتقاد ب وجود(إله) او مجموعة من الآلهة او الفارق بين الاديان السماوية والاديان الوثنية .

ثانيا :- علاج الجنون في متبنيات الاسطورة :-

ان اولى محاولات العلاج التي تتبناها الاساطير لهذه اللعنة (الجنون) في العصور الضاربة في القدم قد ظهرت في الحضارة البابلية وفي بلاد مصر فـ "في معبد ممفيس على سبيل المثال , والذي كان يعد مدرسة للطب , ومشفى في الوقت نفسه , ومن بين اولئك الذين كانوا يتوافدون على هذه المعابد طلبا للشفاء , نجد المجانين الذين كانوا ينتظرون دورهم لحدوث معجزة معهم من خلال ممارسة بعض الطقوس , وسط اجواء من الشعائر الدينية ,كان هناك ممارسات كالصوم والاغتسال والتطهر ...."[٣٢] , ولأن علة المرض كانت غيبية اسطورية كان العلاج متماشيا مع الفكر المتفشي في ذلك العصر الذي يعزو الجنون الى اللعنة , فهو يداويه بالمعجزة والتطهر في مشفى هو بيت الالهة , وكان العلاج هو إجراء ديني يكمن في طقوس التوبة التي يجب أن يعلنها المجنون وبالتالي فهو يحتاج الى ان يعود للآلهة طلبا للصفح والشفاء .

وقد كان البشر صناعا لأساطيرهم على مدى التاريخ ولذا كان تفسير الجنون يأتي من منظور اسطوري , فكل ما هو غير مرئي يصبح رهينة الخيال لأنه الحل الذي يُمكّنهم - في تلك العصور- من "توليد افكار وتجارب لا يمكن تفسيرها تفسيرا منطقيا , وان لدينا خيالات وقدرات ذهنية تمكننا من التفكير بشيء غير شاخص امامنا , وعندما نتصوره لأول مرة لا يكون له وجود موضوعي ,فالخيال هو الملكة التي تنتج الدين والميثولوجيا"[٣٣] . ولطالما ظلت "درجة حضور عناصر الغيب والتعالي ظلت عالية في وعي الناس اثناء ممارسته لأعمالهم اليومية"[٣٤] .

ويشير روي بورتر الى ارتباط الجنون بظواهر اجتماعية اخرى فقد "تم ربط العنف , والاسى والتعطش للدماء , والوحشية دائما بالجنون "[٣٥] , ولا يقف هذا المعنى والفهم عند امة من الامم بل يتفشى في العديد من الحضارات الاخرى , ولا يحد الجنون بحدود تضمن له صورة واضحة بل يتمثل كحاضنة لكل السلوكيات والممارسات البشرية التي لها حظ من التطرف .

واعتقد البابليون وسكان وادي الرافدين بصورة عامة اعتقدوا بالأرواح الشريرة وعلاقتها ببعض الاضطرابات "وان اضطرابات بعينها منشؤها الروح الشريرة "[٣٦] ولم تكن الارواح الشريرة او اللعنات هي العلة الوحيدة للجنون كما تفهمها هذه الحضارات بل كانت "السحرة , والمكر الشيطاني , والعين الشريرة واقتراف المحرمات"[٣٧]

وكل هذه العلل وغيرها هي المفتاح الابرز لفهم الجنون عند هؤلاء . وقد يُفهم على انه قدر او عقاب , حتى في حالات بعض المرضى الذين يعانون من امراض عصبية كالصرع مثلا "وقد عد نص اشوري سطر عام -٦٥٠ق.م-تقريبا , ما بدا انه عوارض الصرع من عمل الشيطان ...فذلك هو الشيطان ميغتو"[٣٨] ويلاحظ في النص ان الاشوريين قد خصصوا اسماء لهؤلاء الشياطين ولم يكتفوا بالاعمام بالتلبس .

ولم يكن اطلاق التسميات على الآلهة و الأمراض حكرا على الاشوريين , بل ان اليونانيين كانوا يمارسون اجراءات اكثر تحديدا في التعامل مع المرض , فقد كان اسم المرض _الجنون_ غير شائع بطبيعة الحال في تلك الحقبة , وان اسم (المرض المقدس) كان هو الطافي على سطح الممارسات الطبية ومحاولات العلاج , وقداسة المرض تأتي من كونه متأت من لعنة الالهة او مس الشياطين , لذا التداوي كان يصب في قوالب التقديس فكان المريض يعالج بالصلوات والتعويذات والأضحيات التي تقدم الى إله الطب والشفاء عندهم وهو الإله "اسكليبيوس" [٣٩] وقد خصصت معابد لهذا الإله - إله - الطب والشفاء , وكان الكهنة في هذه المعابد هم من يقوم برعاية المرضى والاشراف على عملية العلاج ومن ثم الشفاء " كان الكهنة ايضا هم القائمين على رعاية البشر , ولاسيما في العديد من المعابد المخصصة ل الاله (اسكليبيوس) ...ولم تقتصر قدرته على شفاء المرضى فحسب وانما امتدت الى احياء الموتى ...وصارت ابنته هيجيا او هيجي الهة الصحة"[٤٠]

وهكذا نجد ان اليونان والمصريين فضلا عن البابليين , كانوا يعالجون المجنون بالطرائق البدائية التي تنطلق من الغيبيات وطلب صفح الالهة كما اسلفنا , وان دور العبادة -المعابد تحديدا- والكهنة الذين يديرونها في مختلف العصور والحضارات أنهم القائمون على علاج المرضى وشفائهم .

و(اللافت ان الكتب التي سردت التاريخ القديم للجنون لم تذكر تفاصيل العلاج او شفاء المجانين من عدم شفائهم بهذه الطرائق البدائية التي تجافي الفهم والعقل وبالتالي فهي عديمة الجدوى وغير فعالة بطبيعة الحال , وربما كانت التفاصيل في طي الغيب لأسباب البعد الزمني والطريقة العقلية البدائية التي يتعامل بها التاريخ القديم في التدوين) . واستمرت هذه الامم على قناعاتهم هذه لمدة من الزمن الى حين ظهور **ابقراط** ومدرسته في الطب فتصدى احد اتباعه ليكتب رسالة عن المرض

وينفي قداسته ويعزوه الى اسباب طبية بحتة "اذ غدا الجنون مع الطب الابقراطي مبحثا طبيعيا بعد أن انزل من محتده الالهي"[٤١] .

ويمكن ان نوجز أهم آراء ابقراط في الجنون من خلال حديثه عن المخ بصفته عضوا للمعرفة, اذ يقول "يجب أن نعرف أن السعادة والمرح والضحك واللعب من ناحية , ثم الأسى والحزن وعدم الرضا والشفقة, من ناحية اخرى , كلها تنشأ من المخ , وبسبب المخ قد نصبح مجانين او نهذي أو نشعر بالذعر أو الخوف " , ومن الجدير بالذكر الاشارة الى ان انه قد أكد على أن الاضطرابات العقلية "هي نتيجة مترتبة على امراض المخ , وحاول تفسير العديد من الاضطرابات والامراض , وقام بصك كثير من المصطلحات الشائعة حتى يومنا هذا مثل الهوس Mania والخيلاء Paranoia وغيرهما"[٤٢] وكل ما سبق هو عمل كان له بالغ التأثير في دراسة الموضوع علميا والتأسيس المنهجي العقلي في تناول هذا المرض .

ثالثا :- الجنون من منظور الأديان السماوية القديمة (اليهودية-المسيحية)

لم يكن مفهوم الجنون في الاديان السماوية القديمة (اليهودية – المسيحية) بمعزل عن التأثر بالأسطورة بل تتلاقح النصوص الدينية في هذه الاديان وتلتقي مع الأسطورة في اكثر من مناسبة ويشير أحد الباحثين الى هذه النقطة "تنضوي تحت كثير من مرويات الكتب المقدسة القديمة (التوراة والانجيل) على جانب كبير من البعد الاسطوري ,و لا يحتاج منا ان نبين السبب في تماهي الاساطير مع ما ذكر من احداث في هذه الكتب "[٤٣] وعلى هذا سيتفق البحث مع الاتجاه القائل بان الاسطورة تنظر الى الجنون كما ستنظر اليه الكتب السماوية المتأخرة عنها في الظهور .

من غير أن نهمل الجانب الانساني الذي ابتدع النصوص الاسطورية وجانب الواقع وانحاز الى اللاعقل والى الغرائبيات التي اصطلح الفكر الديني على تسميتها بالمعجزات . بينما ينطلق المفهوم الديني من بعد آخر ينبع من الفكر السماوي الذي تأسس له الاديان بانطلاقها من الماورائيات بصفتها جانبا عرفانيا مقدسا ودلائل القدرة المطلقة لـ(الاله) الذي سن تلك الاديان والشرائع والنواميس , ولا تنحصر هذه الرؤية بدين من الاديان بل تصطبغ كل الاديان بالمعاجز وهنا يصبح وجودها ذا بعدين (ديني- أسطوري) , وحري بالبحث ان يقف عندهما قليلا لتثبيت اسس علمية تؤطر اسباب التماهي في مفهوم الجنون بين الاسطورة والدين :-

١- الكتب المقدسة (التوراة والانجيل) اشتملت على الكثير من (التصرف) في تاريخها لذا ستلقي العقلية البشرية بمتبنيات فكرية ورثتها عن الاسطورة وستكون هذه المتبنيات الفكرية هي نقطة اللقاء بين الدين والاسطورة والى ذلك يشير الدكتور وسام العبيدي "لانهما خضعا للمشيئة المخيلة البشرية التي تلاعبت في نقل الحديث وصورته بحسب الظرف التاريخي او السياسي او غير ذلك من الظروف ولا يماري احد في ان الكتب المقدسة حصل فيها الكثير من التزوير الذي طرأ قبل ظهور الدين الاسلامي وبعده"[٤٤] *

٢-الامر الاخر ان الكتب السماوية تنظر الى المعجزة على انه أمر خارق للعادة وقدرة استثنائية تقفز على النواميس الارضية والعقل , بينما تقف الاسطورة عاجزة عن تصنيف (العقلي واللاعقلي) . وهو اختلاف جوهري بين الطرحين .

ثم تأتي بعد ذلك أهم الطروحات التي تتفق فيها الاسطورة مع المفهوم الديني والتي من ابرزها اللعنة او العقوبات التي يصبها (الاله- الآلهة) على بني البشر في حال ارتكابهم الخطايا والآثام ودخولهم في دائرة التكبر والغطرسة والجنون , مع لحاظ الاختلاف في نوع تلك الخطايا بين المفهومين (الاسطوري - الديني), إذ يركز المفهوم الديني على الولاء لشريعة دينية محددة تنظم الحياة تنظيما شاملا في جميع مناحيها ونشاطها , ويحدث ان يخرج بنو البشر عن هذه القوانين (السماوية) فيصيبه الله بلعنة جزاء ما اجترحت يداه ومن امثلة هذا المعنى ما اصاب نبوخذ نصر حين اغتر بملكه ورأى

عظيم سلطانه ونفوذه في مدينة بابل فوقف هناك على مشارف بابل وحدث نفسه "أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها لبيت الملك بقوة اقتداري ولجلال مجدي"[٤٥] وقد حذره دانيال (بلطاشر) بعد أن قص رؤياه عليه , فقال له دانيال "يطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوانات البر ويطعمونك العشب كالثيران ,ويبلونك بندى السماء تمضي عليك سبعة ازمنة, حتى تعلم ان العلي متسلط في مملكة الناس ويعطيها من يشاء"[٤٦] , وهنا تحققت نبوءة دانيال وجرد نبوخذ نصر من عقله واصابه الجنون جزاء لغطرسته وتعاليه ويلاحظ في النص ان دانيال الذي فسر حلم نبوخذ نصر يشير بأنه سيجرد من عقله ويهيم في الغابات وسيأكل كما الحيوانات (الثور) وسيكون عاريا !!! .

ولكن للقصة بقية "وعند انتهاء الايام انا نبوخذنصر رفعت عيني الى السماء , فرجع الي عقلي, وباركت العلي وسبحت وحمدت الحي الى الابد , الذي سلطانه سلطان ابدي وملكوته الى دور فدور " [٤٧] ويتجلى من خلال النص البنية الدينية وتفاصيلها حيث منظومة الاديان تعلن ان للسماء إلاها إواحدا وهو الدائم والمسيطر والذي سلطانه سلطان ابدي , وهو يعاقب بالذنوب ثم يغفر بالتوبة والاياب . ومن هنا تتحقق نقطتان محوريتان رئيستان هما :-

١- ان الاديان السماوية والاله السماوي يغفر الذنوب بعد ان يؤوب العاصي الى عقله وهو مفهوم غير متحقق في الاسطورة التي تستمر فيها الآلهة بعقاب العصاة !! .

٢- ان المعاقب بالجنون سيؤول امره الى الشفاء بعد انتهاء تلك اللعنة ليعود الى رشده نادما على تلك الخطايا التي كانت سببا في نزول اللعنة عليه .

وللفكرة حضور جلي في تشريحات الجنون التاريخية حيث يسرد كلود كوتيل القصة مشيرا الى تلاقحها مع اسطورة اخرى هي (الاستذئاب - الرجل الذئب) التي يجسدها حال نبوخذنصر حينما يشترك مع (الرجل الذئب) في سكنه للغابات وتحول طباعه وغرائزه الى الحيوانية منحدرا من سلم التصنيف "فلتوقيع العقاب على هذا الملك ...ضربه - يهوه - بالجنون حيث اعتقد نبوخذنصر انه تحول ليس الى ذئب ولكن الى ثور"[٤٨]. ولم تكن هذه القصة وحيدة في متن الكتاب المقدس (العهد القديم) وكذا لم تكن اللعنة الالهية هي العلة الوحيدة للإصابة بالجنون , بل يلتقي الكتاب المقدس مع الفرضية الاسطورية القائلة أن للجنون (روحا) وان هذه الروح هي ما يدفع الانسان الى مخالفة احكام الدين "ولكن من يمكن ان يكون مجنونا دون ان يكون خاطئا ؟ انه ذلك الذي يخرج بمفرده في الليل , ويبيت في المقابر ويقذف بالحجارة ويمزق ملابسه وهذا ما اكد عليه التلمودي ريش لاكيش في القرن الثالث بعد الميلاد "[٤٩] .

وفي النص حمولة متخمة بالمعاني الاسطورية التي توارد العهد القديم مع الاسطورة فيها , ومن أبرزها وجود سيمياء الاسطورة (الليل ، المقابر ، التعري ، الرعب ، والقذف بالحجارة) وهذا ما نص عليه (التلمودي) ريش لاكيش .

ويطالعنا ايضا من حالات الجنون والمجانين انموذج اخر يكون جنونه قريب من المصطلح (المرض العقلي) ,وهو شاؤول وكان من ملوك بني اسرائيل والتي تنص قصته على "بعد ان شاخ شاؤول واصبح معتل المزاج , لم يكن هناك الا قيثارة داوود , الذي كان لايزال لراعيا للغنم, هي التي بإمكانها تهدئته"[٥٠] إذ ينص الكتاب المقدس على ذلك "فكان يرتاح شاؤول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء "[٥١] وهنا تبدو نزعة التشخيص المرضي واضحة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الحمولة الدلالية للنص واستعماله لكلمة (يطيب) , فهو يشفى مؤقتا لأنه مريض وان سبب الشفاء هي الموسيقى وهو مفهوم على قدمه الا انه احد العلاجات الفاعلة في معالجة المجنون الى عصرنا هذا .

ثم تتعالق قصة داوود عليه السلام مع قصة شاؤول الذي كان يعاني من الجنون او مصابا ب(داء العظمة) "كما كان الملك الشيخ مصابا ايضا بجنون العظمة او البارانويا وبالغيرة من نجاح داوود زوج ابنته التي زوجه اياها بإرادته"[٥٢] وهكذا سيعمد داوود بعد اختلافه مع هذا الملك الى هروبه من الملك الى مملكة اخرى وإلى ادّعاء الجنون ! "وكان يتعين على داوود الالتجاء الى بلاط ملكة جت , وهناك خوف على حياته تصنه هو نفسه الجنون"[٥٣] .

وهنا يبدأ (الجنون) بالتسرب الى مخيال الوعي البشري والتشكل على هيأة (حالة) من المرض التي يمكن ان توظف في وظيفة اقرب الى مفهوم (القناع) في الادب الحديث . لم يكن الجنون سوى منقذا لداوود بعد ان تلبس بثوب المجنون ليعفيَ نفسه من اعباء دخوله مملكة (جت) لينجوَ من تبعات مخالفته لقوانين تلك المملكة .

وستكون هذه الحالة ايحاءً للعقلاء بالتجرد الارادي من سمة العقل والانحياز الى الجنون عبر التلبس بثوب المجنون للخروج من دائرة المدرك لتبعات خرق القوانين الارضية وربما السماوية ايضا , وعلى هذا سيكون (المتجان) مقنعا بالجنون في مختلف العصور ليتسرب وينفذ من طائلة العقوبة او الموت .

وعن الجنون في العهد الجديد (الانجيل) فإننا نجد مفهوم (الارواح-الشياطين) الذي قدمته الاسطورة وكان عقيدة راسخة في تفسير الجنون عند الحضارات الوثنية القديمة التي تؤمن بالآلهة المتعددة , فالمسيح (عليه السلام) كان يشفي المجنون و(الصريع) بطرد الشياطين منه "فإنتهره يسوع , فخرج منه الشيطان , فشفي الغلام من تلك الساعة"[٥٤] , والنص والسرديات التي تحاول تفسيره لا تحيد عن مفاهيم الجنون وصوره واشكاله السابقة التي طالعتنا في الاسطورة وفي العهد الجديد , حيث تتجسد نقاط اللقاء في لغة النص ونقرأ (انتهره – الشيطان- شفي الغلام) وفي السرديات التي تفسر الانجيل نجد في قصة (الغلام)* انه كان عاريا ويعيش في القبور ولا يرتدي ثوبا .

ومن السياق والسرديات المتعلقة به نستجلي نقاطا مركزية يتحتم الوقوف عليها لأنها اصبحت جزءا اساسيا من (ظاهرة الجنون) في كل من الاسطورة والكتب المقدسة , وتتلخص بـِ:-

١- في الاسطورة يظهر الجنون بصفته العامة مجردا من وصف المرض وفي الكتب المقدسة يوسم الجنون بالتشخيص الإكلينيكي وبكونه مرضا يمكن الشفاء منه .
٢- في الكتب المقدسة يكون علة المرض والشفاء منه إلهية غيبية ولا نلمس تدخلا بشريا في عملية الشفاء , فكما كان الجنون عقوبة المتغطرسين والخطّائين من الإله , كان الشفاء حظوة الهية أيضا.
٣- في الاسطورة وفي الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد) يصاحب ظهور الجنون في سياقه وفي دلالاته جملة من المعاني الرمزية التي توظف في تقديمه بصورة ترهيبية مرعبة تحرص على ربطه بالمقابر والعري والشياطين ...الخ

ومرد وجود هذه الدلالات الرمزية يعود الى ان الجنون هو العقوبة واللعنة التي تصيب البشر بعد اسخاطهم الآلهة (او الإله) , وهذه اللعنة مشتملة على الوان من العقوبات التي توظف (كحاضنة) أو (بيئة) للجنون , وتتطابق مع المخيال الاسطوري والديني في تكريس الاجواء الرادعة والمخيفة التي من شأنها بث روح الهلع والخوف لتكون الضابط عن التجرؤ على ارتكاب المعاصي واغضاب الالهة (او الإله) . وهو اجراء تأديبي كان مناسبا في تلك الحقبة وما تعتنقه من عقائد وعادات وطقوس .

أما الوجه (المجازي) للجنون في العهد الجديد فيلخصه راي أحد الباحثين "وفيما يتعلق بالجنون المجازي , فله مكانة محدودة ومميزة في العهد الجديد"[٥٥] , ولا يتفق البحث مع هذا الراي في كون مكانة الجنون محدودة في العهد الجديد (الانجيل) وانقل النص الآتي واعلل بعد ذلك سبب عدم اتفاق البحث مع الكاتب ,"فالمسيح مخلص البشرية , يعد عمله الخلاصي على الصليب جنونا بينما هو الحكمة في اجل صورها , على العكس من ذلك , تعد حكمة العالم , وفطنته الكاذبة

هي الجنون بعينه,[٥٦] وهنا كان المسيح (المصلوب) حكيما بجنونه , وهو راي ظاهر الضعف لان التضحية (إن صحت) انما تقاس بنتائجها واسبابها مع استبعاد التكلفة المادية والروحية ومهما كان العناء الذي سيتجشمه المضحي والمخلص .
وهكذا ستكون حكمة العالم التي اسماها الكاتب جنونا , ستكون تعقلا واضحا لأنها كانت النتيجة النهائية للتعقل , فصلب المسيح (على رأي القائلين به) إنما كان لتخليص العالم واخراجه من الجنون الى الحكمة والتعقل .

المبحث الثالث

الجنون بين الفلسفة والأدب

اولا:- الجنون وفق الفلاسفة المحدثين

ميشيال فوكو (مثالا)

يطالعنا ابتداءً اهم الاسماء التي عنيت بالدراسة - ولا نعني بالدراسة هنا الدراسة الاكاديمية - الجنون وتاريخه اسم المفكر والفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو , حيث شغل كتابه **(تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي)** مساحة واسعة من التدارس والنقد والاشتغالات العلمية على مادته شرحا وتعليقا , يسوغ ذلك الاشتغال كمية الآراء الي افرزتها دراسة الجنون عند فوكو وأهمية تلك الآراء , كما كان منهجه مبتكرا ومتكاملا استطاع من خلاله ان ينتج دراسة غير مسبوقة كانت (الخبرة الانسانية) هي الفضاء والمتن الذي تحفر فيه , ولذا نال الكتاب شهرة بالغة وكان نقطة فاصلة في تاريخ الجنون ومحاولة لإعادة فهمه, ولحظة لانطلاق آراء ومناهج نقدية ولدت في بحبوحة هذا الكتاب وصدرت عنه ومنها النقد الثقافي الذي اسهم فوكو في ارساء معالمه الاولى واشتغالاته وممارساته واهتماماته .
يُعد كتاب فوكو (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) من أقدم الدراسات الرصينة والموضوعية التي عنيت بالجنون كظاهرة شغلت مساحة واسعة في الفكر الاوربي وعلى اختلاف حقوله واهتماماته , فكانت لها تجلياتها في مجمل النتاجات الادبية عند ادباء الغرب, وقام فوكو بدراسة الجنون بصفته **خطابا** لا بمعزل عن الحياة الاجتماعية والسياسية والادبية , بل بصفته نتاجا لها ويفترض فوكو أن هناك تأثرا وتأثيرا متبادلا بين الجنون والمحيط الذي يتواجد فيه , فهو افراز هام كان للسلطة وللمجتمعات الاوربية اليد الطولى في تشكيل معالمه وتشخيص صوره وتجلياته.
ولم يهتم فوكو بالجنون بصفته حالة فردية شخصانية بل هو ظاهرة عامة قد تصيب فئة اجتماعية كاملة كما تصيب الافراد, ويرصد فوكو التطور التاريخي لخطاب الجنون عبر العصر الكلاسيكي وصولا الى وقت الكتاب والفهم المعاصر للجنون وللمجنون .
وحصيلة ما سبق ان الدراسة التي يقدمها فوكو تتشكَّل تبعا لمتغيرات العصور الذي يعالجها الكتاب وتبعا لحركة السلطة والمجتمع وما يرافقها من عوامل اساسية تلقي بظلالها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذا البلد او ذاك , ويقف الدكتور وسام حسين العبيدي على (منهج فوكو) الذي انتهجه في كتابه فيقول "لقد استعان فوكو بجملة من الاجراءات المنهجية في انتاجه المعرفي , فقراءته للجنون اقامها على نظرية التقابل التي درس فيها سوسير الاشارة لمنحها هويتها داخل النسق .فالموضوع المدروس لا يكتسب هويته بوصفه موضوعا مشخصا, بل بوصفه جزء من بنية يتكون من خلال المقابل له الذي يجعله قابلا للوصف , فيقرأ الجنون من خلال العقل والمرض من خلال الصحة الجسمية , كذلك تقرأ ثقافة حقبة معرفية من خلال الحقب الاخرى التي تظهر بها بنية كلية او نسق معرفي "[٥٧] وهنا تفرض البنيوية وجودها بصفة

واضحة كما اسلفنا , وتنعزل من خلال المنهج البنيوي الحالات الفردانية لنصبح بإزاء ظاهرة جمعية لا فردية, اما مساحة اشتغال بحثنا فهي بصدد تناول الحضور الرسمي وغير الرسمي للجنون بصفته حالة ضمن نسيج وبنية اجتماعية مشخصة عبر مسبار يغور في فكر حديث هو نتاج قرون من تقلب المعرفة بالجنون وتشخيصاته ودلالاته .

فمنهج فوكو "يجسد الرؤية البنيوية في قراءة الموضوع اعتمادا على النسق الكلي للمعرفة ومعظم قراءات فوكو استثمرت هذا الجانب , اي قراءة في النسق المعرفي من خلال الأنساق المعرفية التي تدخل معه في علاقة تعاقبية , وتوفي هذه القراء تحديدا منهجيا للحقبة المدروسة ابستمولوجيا "[٥٨] .

وما يهتم به البحث هو تقديم مفاصل كبرى تضمنها الكتاب دون الخوض في محاولة تلخيصه لان الحيف الذي يقع على الكتاب هو امر محتوم في حال لو قدم البحث على محاولة تلخيصه , وكما لاحظت ان اغلب محاولات تلخيص الكتاب كانت مجافية للإنصاف , وتفسير ذلك واضح تعلله كمية المعارف وحجم الكتاب الذي انتجه فوكو وصعوبة تحييد مفصل او موضوع من مواضيعه.

الجنون وفق (ميشال فوكو)

يطالعنا في مقدمة الكتاب (التي كتبها مترجم الكتاب سعيد بنكراد) سطور تلخص النماذج التي سيتحدث عنها فوكو والتي تنضوي تحت عنونة الكتاب فيتحدث عنها بصفتها (مفاهيم مفصلية تتعالق مع الجنون وصورة المجنون) فلم يكن الكتاب بعيدا عن التقاط مثل هذه النماذج التي تجاور الجنون وقد تختلط في حدود المفهوم احيانا فالكتاب "يمكن عده الانطلاقة الفعلية لمشروع نظري ضخم امتد على ما يقارب ربع قرن كانت مادته الاساسية (الخبرة الانسانية) في لحظات ابداعها لأشكال العسف المتنوعة للحد من اندفاع الجسد والروح وتخطيهما لحدود (المعقول) و(العقلاني) و (المستقيم) و (الرزين) للانتشاء بالذات داخل عوالم اللاعقل التي لا تعترف بأية (حدود اضافية) غير تلك التي من اشياء طبيعية وطبيعة الاشياء" [٥٩] وهنا تطالعنا نقطتان اساسيتان هما :-

١- ان الخبرة الانسانية انتجت نماذج من خلال التعسف وهذه النماذج تخطت حدود (المعقول والعقلاني ,والمستقيم والرزين) .

٢- بعد تخطي هذه الحدود ستدخل الذات عوالم لا تعترف بحدود اضافية .

اي ان هذه النماذج من الذوات المنتشية قد دخلت عوالم اللاعقل , وسيكون المجنون من ضمن اهم النماذج التي تخطت عالم العقل وجازته الى عوالم اللاعقل . لذا فالكتاب يزخر بـِ "معرفة علمية تخص العقل و اللاعقل والاختلال النفسي وكل السلوكيات (الغريبة) و (الشاذة) وكذا الاندفاع نحو حدود لا تتوقف عن التوغل في المجهول . لذلك فهو يتحدث عن (الطب العقلي) و(السيكولوجيا)و(التحليل النفسي) وكل الاشكال العلاجية التي اعقبت العصر الكلاسيكي معلنة عن ميلاد (المجنون المريض) الذي سيخلف المجنون (الدرويش) و (الوحش) و(الشاذ) , تماما كما سيخلف المارستان والعيادة دور الحجز والمستشفى العام"[٦٠] .

والمعرفة التي بين دفتي الكتاب تعنى ايضا بـِ(العقل, اللاعقل ,الاختلال النفسي ,السلوكيات الغريبة والشاذة, الاندفاع نحو المجهول) وإن أهم العلوم التي عني بها فوكو هي (الطب العقلي, السيكولوجيا, التحليل النفسي, الاشكال العلاجية) وهذه العلوم هي الحليف الذي كان وفيا لفوكو في انتاج نظريته التي ستؤول الى اعلان مهم جدا مفاده أن القرون الوسطى كانت تتعامل مع المجنون تحت تصنيفات ومسميات :-

١-الدرويش .

٢-الوحش .

٣-الشاذ .

اما القرن التاسع عشر فهو القرن الذي انتج فيه المفهوم المعاصر للمجنون وهو (المجنون المريض) وتغير الحجز بفعل هذا التغيير الذي طرأ على المنظومة الفكرية الاوربية الى (المارستان) الذي هو المشفى الذي سيعنى بالمجنون على انه (المجنون المريض) . وكل هذا المسميات متخمة بالدلالات التي تشي بطريقة تعامل المجتمع مع هذه النماذج التي تورطت في الاشتراك مع المجنون بصلة ما .

ويقدم فوكو الفصل الرابع (تجارب الجنون) من الجزء الاول من كتابه بهذه العبارة " منذ أن انشأ المستشفى العام , ومنذ ان فتحت دور الحجز الاولى ابوابها في المانيا وانجلترا , الى نهاية القرن الثامن عشر , لم يتوقف العصر الكلاسيكي عن الاعتقال"[٦١] والعبارة تلخص كيف تعاملت اوربا مع متخطي حدود عالم العقل (المجانين) والنماذج الاخرى التي سنتبينها والتي كانت متعالقة (بصورة ما) مع المجنون ومصيره كما سنعرف "اعتقل المنحرفون والمبذرون والابناء الضالون , كما اعتقل الذين يمسون المقدسات الدينية والمنحلين والذين يؤذون انفسهم "[٦٢] , وهكذا كان كل هؤلاء ضمن التصنيف الاوربي يقعون في مرتبة واحدة ولم يكن الجنون بمنأى عن بقية هذه النماذج التي تحمل جريرة ما جعلت المجتمع يتعامل معها كما يتعامل مع المجنون ومصيرهم كل الحجز .

فالعصر الكلاسيكي كما يقول فوكو قد رسم صورة عن تجربته الخاصة مع اللاعقل ويبدو ان هذا العالم سيتسع للكثير من النماذج التي انحرفت عن عوالم العقل وعن الرزين ودخلت ضمن منطقة الشذوذ وهذا يكفي لتعامل معاملة المجانين في تلك الحقبة في أوربا .

لم يكن المجنون سوى خلطة عجيبة ومبهمة يمكن ان تلصق بأي انموذج وان كان بعيدا كل البعد عن الجنون , ولم تكن النماذج التي ذكرناها هي الوحيدة التي صنفت مع المجنون واحتجزت في دور الحجز بل يسوق فوكو جملة من الحالات الاخرى التي كان الجنون تهمة او تسويغا جاهزا لحجزهم واقصائهم عن المجتمع . وبالتالي فسياسة الحجز كانت تشغل المساحة الاوسع والتعامل الامثل للسلطات التي كانت تتسنم الحكم في تلك المدة في أوربا .

الاقصاء سيشمل المختلف والشاذ كما يشمل المجرمين والحمقى اسوة بالمجانين " فعشر الذين كان يتم توقيفهم في باريس ويزج بهم في المستشفى العام كانوا من الحمقى او اشخاصا فقدوا السيطرة على انفسهم او اشخاصا مستلبي الذهن , ولم يكن هناك ما يميز هذا عن ذاك "[٦٣] .ثم يلخص فوكو هذه التجربة بكلمة "وهنالك كلمة دالة على هذه التجربة , بل يكاد تكون شكلها الرمزي الكامل , وتعد هذه الكلمة من اكثر الكلمات تواترا في الكتب التي تتحدث عن الحجز : انها كلمة ساخط (furieux) فالسخط لفظ تقني في التشريع والطب على حد سواء "[٦٤] .

في مقدمة الجزء الثاني يطرح فوكو اشكالية محورية في بحثه قد رافقته طيلة البحث وسببت نوعا من التشظي لمفهوم الجنون في العصر الكلاسيكي , وهي مفهوم المصطلح وحدوده في البنيات الاجتماعية في اوربا في ذلك الحين , وحينما تكون الاشكالية المحورية متعلقة بفهم المصطلح وحدوده سينتج عن ذلك سلسلة من المشكلات المتناسلة عن الاشكالية الاولى وهذه السلسلة كانت في طريقة (الوعي) بمصطلح الجنون بالنسبة لهذا الجانب الاجتماعي او ذاك .

يقول فوكو "يجب ان نعود الان الى تلك الحقيقة المبتذلة , لم يكن الوعي بالجنون يشكل , على الاقل في الثقافة الاوربية , واقعة متماسكة , بنيت باعتبارها كتلة ومسخت باعتبارها مجموعا منسجما "[٦٥] فالمصطلح كان متشظيا تبعا لفهم هذه الثقافة او تلك وتبعا للزمكان الذي كان يفرض ضغوطا على التأسيس الدلالي للمصطلح , كما ان المصطلح لم يكن افرازا مستقلا ناتجا عن الجنون بصفته ظاهرة مرضية ,بل كان للسلطة دورا في تشظيه الى درجة التنافر احيانا ولذلك يعقب فوكو "يمكن القول ان نوعا من التنافر قد يكون اكثر اهمية في حال تجربة الجنون من اي تجربة اخرى" [٦٦] .

وللوعي بالجنون في مفهوم فوكو اشكال متنوعة غير قابلة للاختزال وهذه الاشكال هي :-

١- "وعي نقدي للجنون :- وعي يتعرف عليه ويعينه استنادا الى المعقول والرزين والحكيم اخلاقيا , انه وعي ينخرط كليا في حكمه , قبل بلورة مفاهيمه , وعي لا يحدد بل يدين .وينظر الى الجنون داخله وفق نمط تقابل سهل الاكتشاف .

٢- تجربة عملية للجنون :- ان الانفصال هنا ليس امكانا ولا مهارة ديالكتيكية , انه يفرض نفسه بوصفه واقعا ملموسا لأنه معطى من خلال وجود ومعايير مجموعة ما .

٣- وعي تلفظي بالجنون :- وهو وعي يمكن من القول , مباشرة دون الاعتماد على معرفة :(هذا جنون) , وفي هذه الحالة لا يتعلق الامر لا باحتواء الجنون ولا بإقصائه , بل يتعلق بالإشارة اليه فيما يشبه الوجود الجوهري .

٤- وعي تحليلي للجنون :-وهو وعي مفصول عن اشكاله وظواهره وانماط ظهوره, ان كلية اشكاله وظواهره ليست , دون شك , دائمة الحضور في هذا الوعي فالجنون سيختفي , لمدة طويلة أوالى الابد , سلطاته الاساسية وحقائقه في الشر المعروف , ولكنه سيجد في هذ الوعي التحليلي , هدوء الخير المعروف"[٦٧] .

ولا يمكن الاحاطة الشاملة ولا كتابة مختصر شاف لآراء فوكو التي وردت في الكتاب لتعذر ذلك وعدم موضوعيته , كما انه ليس من اهتمامات البحث لذا سيكتفي البحث ويقف عند اشكال الوعي عند فوكو وفق كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ولكن قبل ذلك نقف عند اهم محطات الكتاب وهو السؤال المحوري الذي يدور عليه الكتاب ومفاده :- كيف فهم فوكو الجنون ؟

وقد أجاب فوكو والكثير من الباحثين والمهتمين بالكتاب عن هذا السؤال وبصورة غاية في التكثيف , ومفاد هذه الاجابة هو ان "**الجنون ليس حقيقة طبية بل بناء ثقافي كرسته شبكة من الممارسات الطبية والطبعقلية والادارية**"[٦٨] , ويشير باحث آخر الى مفهوم مماثل تقريبا للنص السابق , إذ ان الجنون عند فوكو "ليس مجرد – واقعة ثقافية فحسب- بل هو يشارك أيضا في تكوين أو انشاء الواقع الثقافي"[٦٩] ,ويعزز صحة هذا الرأي تواتره في اغلب الدراسات التي حيكت حول فهم فوكو للجنون وهنا يطالعنا رأي الدكتور وسام جاسم العبيدي إذ يشير الى هذا الفهم بقوله "ان الغرض من قراءة فوكو للجنون لم يكن لأجل كونه مرضا عقليا ينتج من عوامل سايكولوجية في الفرد , بل كان الغرض هو ان يدرس بوصفه جزء من انموذج معرفي يشكل مع المقابل الكل الثقافي بعلاقاته المعقدة "[٧٠] , وهنا كان مدار الاجابة التي نتقصاها عن الرأي الاخير لفوكو حول الجنون هو أن الجنون ظاهرة تدرس ضمن بنية اجتماعية كلية ولا يمكن عزلها وتناولها مفردة بعيدة عن المتبنيات الثقافية لهذا العصر أو ذاك .

ثانيا : الجنون في الأدب

يتجلى الجنون في كل الآداب والثقافات الانسانية وفي ميدان الادب وعلى اختلاف اجناسه فيظهر وفق منظومة يمكن حصرها من حيث -كثافة ظهوره- ضمن تصنيف (الظاهرة) و(الثيمة) ويعود تاريخ ظهوره الى حقبة بعيدة ومع ظهور اول النصوص الادبية في جنسي (الاسطورة–الملحمة) وفي (المسرحيات) اليونانية القديمة كان له الحظ الوافر في الظهور

ولاسيما في نصوص يوربيدس . ومن هنا كانت الولادة الاولى لهذه (الظاهرة). فهي ما فتأت تعيد نفسها وتتناسخ وتتلاقح عبر اطوار التاريخ وفي شتى انواع النصوص الادبية وصولا الى العصر الحالي .

ولا يعني هذا بشكل من الاشكال ان نرصد دلالات ثابتة وحتمية ونمطية لهذا الظهور , بل اتخذت الدلالات التي يحملها الجنون كموضوع انساني او كظاهرة ادبية شكل (الحرباء) التي تخاتل الراصد وتتماهى ضمن حزمة من المفاهيم الدينية والعقائدية والانسانية والاجتماعية والطبية. ثم ينحى الجنون بعد انتهاء العصور الوسطى وبداية العصر الكلاسيكي الى التماهي مع مسميات وظواهر اجتماعية كانت شائعة في تلك القرون ولاسيما في اوربا . ويعزى هذا الخلط في مدلول المصطلح وكما رأينا الى اختلاف المرجعيات الفلسفية و الفكرية التي ينطلق منها هذا المجتمع او ذاك , والى جملة من الضغوط التي سلطت على مفهوم المصطلح لتحقيق مآرب تتوخاها السلطة في هذا البلد او ذاك .

وقد جاءت المصنفات العربية القديمة لتعقد الفصول عن الجنون وعلاقته بالأدب وبالمجتمع وقد ترد على السنة المجانين الحكمة لذا تجد المصنفات تتكلم عن (اذكياء المجانين) , و " ظهر في الادب العربي تحت عنوان – شطحات صوفية – جنس أدبي , تكون العبارة فيه سائلة , والجملة تتداخل مع الاخرى , والكلمة تتطاير دون تحديد , وقد تعرض هذا الجنس الادبي الى احكام , تصل فيما بينها الى حد التناقض "[٧١] والكثير من هؤلاء المتصوفة صاروا الى الجنون المشوب بصوت الحكمة .

يذكر الدكتور علي المدني * ان الجنون كان الصفة اللصيقة ببعض الشعراء دونا عن غيرهم من الادباء , وهنا تبرز لنا ظاهرة سيادة الشعر في التراث الادبي العربي , ومن هنا ايضا كان الادب و وصفة الاديب تعني الشاعر في تلك الحقبة , ولم يكن (الناثر) مؤهلا لحمل رسالة الادب في العصر الجاهلي , فكان الجنون سمة لبعض هؤلاء الشعراء في ذلك العصر ومنهم الشاعر زهير بن جناب الكلبي الذي يقول عنه ابو فرج الاصبهاني "كان من حديث زهير بن جناب الكلبي انه كان قد بلغ عمرا طويلا حتى ذهب عقله ,وكان يخرج تائها لا يدري اين يذهب , فتلحقه المرأة من اهله والصبي , فترده وتقول له : اني اخاف عليك الذئب ان يأكلك , فأين تذهب ؟ "[٧٢] , أما الآمدي فقد ذكر من الشعراء من سمي بالمخبل فقا "منهم القريعي وأسمه ربيعة بن ربيع بن قتال من بني لأي بن أنف الناقة ويكنى ابا يزيد الشاعر المشهور . ومنهم المخبل بن شرحبيل بن حمل ... ومنهم المخبل الثمالي ...ومنهم كعب المخبل"[٧٣] ويضيف الدكتور علي المدني جملة من النصوص التي تضمنت القاب (المخبل) من الشعراء وانقل منها " المخبل ثمالي من بني ثمالة وقريعي وهو ربيع ابن ربيعة بن قبال وسعدي وهو ابن شرحبيل .وكذا كعب المخبل"[٧٤] .

هؤلاء الشعراء عرفوا بالمُخبَّل اي (المجنون) وكانت نصوصهم ومواقفهم متضمنة للمعاني التي تؤكد على جنونهم ويلحق بهؤلاء ثلة من الشعراء (الموسوسين) الذين اشتهروا بتقلب احوالهم بين الصحو والعقل وبين الوسواس والجنون , ويفصل الدكتور علي المدني القول في هؤلاء ويدرج جملة من اسمائهم مع بيان احوالهم وعللهم وامزجتهم واصنافهم , ولكن اللافت في هؤلاء الشعراء ان فيهم من يعتريه الجنون نوبات تأتي ثم تصفو روحه ويؤوب له عقله , ومرد ذلك كان في الغالب الى سطوة العشق التي تلهب بهؤلاء فتعصف بعقولهم لما يتجرعونه من الم الفراق ولوعة الاشتياق واللهفة للقاء المحبوب , وأمر هؤلاء شائع في كل العصور وصيتهم ذائع واشهر من ان يذكر , واشهرهم على الاطلاق (مجنون ليلى) الذي يجاهر بالجنون غير متنصل مما يعتريه من حالات تعصف بعقله وتوشك ان تودي به فيقول مخاطبا نفسه ومعاتبا اياها :- "

ما بالُ قلبكَ يا مجنونُ قد هَلَعَا من حبِ من لا تَرى في وصلِها طَمعا

الحبُ والعشقُ سِيطا من دمي لهُما فأصبحا في فؤادي نابتينِ معا

طوبى لِمنْ انتِ في الدنيا قرينتُه لقدْ نفى اللهُ عنهُ الهمَّ والجزعا "[٧٥]

وهكذا يحضر الجنون في موضوعات الشعر العربي القديم , بل تتشكل حالة جديرة بالوقوف عليها هنا , وهي ان هؤلاء الشعراء المجانين يعرفون تمام المعرفة ما يصيبهم من نوبات من الوسواس (الجنون) بل يقفون على علله واسبابه , ويذكر هذا الدكتور علي المدني " وقد أشار الموسوسون الى حالات الجنون التي تنتابهم , او التي وصفهم بها الناس , وقد تراوح حديثهم عنها بين الاعتراف والرفض , وفي مجمل كلامهم حول هذا الأمر نجدهم يقفون عند أسباب تلك الحالات التي تنتابهم . فنجد منهم من ربط بين وسوسته والحب ؛ فهو سببها الأول والأخير"[٧٦] .

اما عن اشهر هؤلاء الشعراء الموسوسين " فهو (غورك المجنون) الذي لم يقتصر الأمر عنده على نصٍ واحد ،بل شملَ أغلب ما وصلنا من شعره ، ومن ذلك قوله:

جُنونٌ لَيْسَ يَضْبطُهُ الحديدُ وحُبٌّ لا يَزولُ ولا يَبيدُ

فجِسْمي بَيْنَ ذاكَ وذا نَحيلٌ وقَلْبي بَيْنَ ذاكَ وذا عَميدُ "[٧٧]

وهنا تصل حالات المجنون (الواعي) الى اوجّها واكثرها ندرةً إذ يشغل العقل حيزا من الذات الانسانية بينما يستلب العقل من اللاعقل بنوبات غير ارادية و غير واعية , وان مثل هؤلاء كان أنموذجا سائدا في الادب والمجتمعات الانسانية في ذلك الوقت , بل ان (غورك المجنون) يعرف ان الطبيب غير قادر على علاجه وهو المدرك لعلل جنونه وهيأته وتمنعه على العلاج "وغورك إذ يعترف بجنونه يرفض دواء طبيب الأجر الذي (يحتال) لمعالجة داء لا علاج له . وهو يفرق بين موضع كل من الحب والجنون ؛ فالحب موضعه القلب ، في حين يحتل الجنونُ الجسمَ ؛ فيذيبه ؛ فلا يستطيع الطبيب أن يعالج هذين الداءين ؛ فيقول:

جُنُونٌ وعِشقٌ ذَا يَرُوحُ وَذا يَغدو فَهَذا لَهُ حَدٌّ ، وَهَذا لَهُ حَدُّ

هُمَا استَوْطَنا جسمي فَلَمْ يَبْقَ لي قَلبٌ صَحيحٌ وَلا جِلدُ

وَقَدْ سَكَنَا تحتَ الحَشَا ، وَتَحَالَفَا عَلى مُهْجَتي ألاّ يُفَارِقَهَا الجَهدُ

وأيُّ طَبِيبٍ يَسْتَطِيعُ بحيلَةٍ يُعَالِجُ مِنْ دَاءَين مَا مِنْهُمَا بُدُّ

ولأن الجنون يكمن في الجسد دون القلب , كان من السهل عليه أن يكتمه عن الناس ، ولكنه ما إن أصيب بقلبه بالحب ضعفت مقاومته على الكتمان , فبدا جنونه للناس وظهر"[٧٨] .

وقد اشرنا الى ان موضوع الجنون قديم جدا في اصوله ومظاهر تجليه وضارب في اعماق التاريخ كما اشرنا الى التعالق بين الجنون والملحمة في ما سبق, وعن علاقة الجنون ببقية الأمم وآدابها فالأمر مماثل لما عليه الادب العربي , فالأدب الغربي يحتضن الجنون كموضوع يشغل حيزا واسعا من نصوصه وطروحاته النقدية فضلا عن الفكرية .

وتراوحت مواقف الادباء والكتاب حول الجنون بين ازدراء المجنون وبين من قال بأن الجنون هبة الهية تلهم المجنون الابداع وهناك من أصر على الايمان بقداسة المجنون وكونه سرا من اسرار الابداع والتفرد والالهام الالهي, وهو رأي قديم جدا فنحن نجد ذلك " في احدى محاورات افلاطون المدعوة - فيدروس- حين تكلم افلاطون عن الغضب الالهي لدى الشاعر , كما صورت الاعمال المنسوبة الى ارسطو (٣٢٢-٣٨٤ ق.م) شخصية العبقري السوداوي , الذي يشغل قلقه المتوحد مخيلته لإنتاج الاعمال الادبية "[٧٩]

ولم تقتصر هذه الفكرة في وجودها على العصور القديمة بل "أحيا المشتغلون بالإنسانيات , هذه الافكار في عصر النهضة , فاذا ما نعت شاعر بالجنون عد ذلك اطراء تبعا لأعراف ذلك العصر, ومن ذلك المديح الذي كاله الشاعر ميشيل درايتون للكاتب المسرحي كيت مارلو قائلا:

مازال يحتفظ بذلك الجنون اللطيف
ذلك الجنون الذي ينبغي
ان يمتلك دماغ الشاعر "[٨٠]
أما شكسبير فقد "رأى في _حلم ليلة صيفية_ أن المجنون والعاشق والشاعر خلقوا جميعا من الخيال وهو يصف فعل الابداع بما يأتي :-
أما عين الشاعر التي تدور في حماسة مرهفة
فهي تهبط من السماء الى الارض
ثم تصعد منها الى السماء
وبينما يجسد الخيال صور المجهول
يأتي قلم الشاعر ليمنحها شكلا
ثم يجعل لهباء العدم مسكنا واسما"[٨١] .
وهنا نجد تطابقا بين افكار الفلاسفة اليونان (افلاطون وأرسطو) مع افكار عصر النهضة وإيمانات شكسبير بتعالق حتمي بين الجنون والابداع , وان مصادره تكاد ان تكون بالضرورة سماوية مع لحاظ الفارق , ويقول الشاعر جون درايدن في ذات الموضوع :- "
العقول العظيمة , هي بلا ريب , حليفة الجنون
فالاختلافات البسيطة
تجعل الحدود تنعدم "[٨٢] .
ويبدو ان علاقة الجنون بالإبداع عامة وبالأدب خاصة هي علاقة اكثر متانة مما تبدو عليه للوهلة الاولى , وقد اشار غير واحد من المفكرين والباحثين الى هذا الرأي , بل يكاد يكون الامر بديهيا بالنسبة لقناعات هؤلاء وغيرهم من النقاد , والى ذلك الرأي يشير الدكتور وسام العبيدي فيقول "ولم تخل الدراسات والبحوث التي تناولت ظاهرة الجنون من الاشارة الى الربط بين تشكل الجنون ظاهرة نفسية تتجلى على سلوك الفرد المتصف بها وبين الادب بخاصة والفنون بعامة ويكفي دليلا ان نطالع جميع الكتابات التي تناولت الجنون حتى نجد ذكر اسماء لشعراء وفنانين وروائيين ومسرحيين ورسامين قد اصيبوا بالجنون في بعض اطوار حياتهم "[٨٣] .
وفي الاوساط العربية كان هذا المفهوم حاضرا -على قلته- ومن ابرز القامات الادبية التي احتفت بالجنون بصفته انقلابا على التيارات الادبية التقليدية هو الاديب جبران خليل جبران "ومن هنا كان المجنون هو البطل الجبراني بامتياز . وكان جبران يحب هذا البطل ويجده الاكثر قربا الى ذاته . فالمجنون هو المختلف " [٨٤] وهنا يلتقي رافد الابداع مع الاختلاف بعلاقة يكرسها الجنون من منظور جبران وغيره من الادباء لكسر قيود الواقع والاتجاه الى عالم المخيال الأرحب "فالمجنون هو انسان الخيال الذي يناقض انسان الذاكرة , هو الفوضى وسط النظام . والجنون هو الذي يرفد العقل بالصحة , والنظام بالمرونة والحياة . هو الذي يرغم المؤسسات والقوالب على الحركة "[٨٥] .

والغريب في النص السابق أن الجنون هو الفوضى وسط النظام وهو من يرفد العقل بالصحة وهذه الرؤية مغايرة تماما عن الرؤية العلمية والطبية , فبينما كان الجنون انحرافا عن جادة العقل في الطب وعلم النفس , كان الجنون حاضر كجادة يسلكها العاقلون ويرفدهم بها الجنون بصفته صحة للعقل وتوازنا .

وعلى صعيد الساحة الادبية العراقية المعاصرة فمن الملاحظ ان الجنون بوصفه (ظاهرة او ثيمة) لم يلق الاهتمام الكافي من لدن النقاد والادباء والمثقفين , ولم يشغل الحيز المفترض لوصوله الى عتبة التمظهر اي الوصول الى تشكله كظاهرة في الساحة الادبية وفي النتاجات الادبية العراقية في السرد تحديدا , إذ ينحسر الاهتمام به والكتابة عنه في كل الميادين وعلى كل الاصعدة سيما في المدة السابقة لسقوط نظام صدام حسين واحتلال العراق , اي في حقبة السبعينات والثمانينات والتسعينات , بل كان ظهوره خجولا وعلى استحياء وبالأخص في مجال السرديات .

وفي الجانب الاخر لوحظ ان الاديب العراقي كان يخوض تجربة الجنون لا بصفته عملا ادبيا بل بصفته تجربة حقيقية و واقعية استباحت عددا غير قليل من الادباء والمثقفين العراقيين , وقد مارس النظام الصدامي ضغطا هائلا على هذه الشريحة الواعية مما ادى الى عزلة قسرية لمجموعة منهم , بينما استهدفت مجاميع اخرى بصورة مباشرة لتوسم بالجنون ويلقى بها في الاحتجاز الطبي قسرا .

والى هذه الحقيقة المؤلمة التي كانت تفرض وجودها وبصفة مُلّحة تشير الباحثة آلآء السعدي الى أن البعث قد مارس "الارهاب الثقافي على عدد كبير من الطبقة المثقفة , سواء ان كانوا شعراء او فنانين , او قصاصين , ومن سائر شريحة النخبة , الذين يجدون في الجنون حلا امثل امام هذا المشهد المرعب , فالجنون كان يبدأ من الانتحال , والاستعارة للتخلص من اعباء العقل واختيار الطريق الاسهل للهروب من الواقع , لكن سرعان ما يتحول الى اختلال نفسي , وذهاني فعلي حتى يمتنع معه التعرف بعد ذلك على حقيقة جنونه "[٨٦] , وهنا لاشك ان منعطفا خطيرا يفرض وجوده على الساحة الابداعية والادبية , فبعد ان كان الجنون والمجنون ظاهرة تشغل حيزا من النص الابداعي , وبمفارقة واضحة ومريبة يقفز الجنون من النص الى عقل المبدع ويعيث به جهارا وبفعل فاعل , ليستحيل واقعا يطيح بالأدب والادباء في تلك المدة المشؤومة فيتم اعلان الاديب مشروعا للجنون او متجانا (اضطراريا) .

وهنا ستضيع "المسافة المفترضة بين الجنون والعقل , فمنهم من اصيب به فعلا , ومنهم من تخلص منه نحو –صباح العزاوي , هادي السيد, جمال حافظ واعي , حامد الموسوي, سندس عبدالرزاق . ومنهم من خاض التجربة وظل مستمرا بها كما كان هناك تجارب عملية عايشها الادباء فكانوا في اقامات شبه دورية في المصحات النفسية "[٨٧] .

واعتماد على ما سبق سيكون الجزم بأن الجنون قد تحقق في (بعض) تجارب هؤلاء على الصعيدين الحقيقي والتخيلي , وان تجارب وكتابات ونصوص هؤلاء ستنطلق من أرضية خصبة متحقق فيها الصدق الفني بأجلى تمظهراته . هي دعوة للقاء بين العقل والجنون على حدود مملكتي (الواقع/التخييل), ومن هنا كانت النصوص التي كتبها هؤلاء الادباء استثنائية وبشكل قطعي ونادر في تحققه اذا ما قورن الحال مع ادب الامم الاخرى .

ومن الاسماء الادبية العراقية و التي خاضت هذه التجربة تطالعنا ايضا في ميدان السرديات "حامد الموسوي و حميد المختار وتجربة الناقد والشاعر خضير ميري , فكان للواقع السياسي اثر كبير في تحول طور الرعب الى طور الجنون "[٨٨] .

ولو حاولنا التقصي عن اقرب الاتجاهات والمذاهب الادبية الى الجنون واكثرها صلة به لوجدنا ان السريالية هي الاقرب الى الجنون لأنها تنطلق من الماورائية او هي تعنى بعالم هو (فوق الواقع) . والى هذا المفهوم يشير اسمها (سريالية :Surrealism) .

وقد كان" مؤسس السريالية –أندريه بريتون- يؤمن ان الجنون يمثل الوعي الطبيعي للإنسان , بل يشكل جزء من الواقع المعيش , وأن المجانين بشر يتعامل معهم عقلاء –على الأقل- اطباء وباحثون في الامراض العقلية وقد جاءت للجنون في سياق تمييز حركتهم الفنية عن الجنون "[٨٩].

ويخرج الدكتور وسام حسين العبيدي بنقاط الالتقاء بين الجنون والمذهب السريالي بقوله "فقد وجدت عناصر التقاء بينهما ,ومن تلك العناصر , هو عنصر الحلم , فالسريالية تعتمد في ابداعها على –لاوعي- الفنان , أي أن يستمد عمله من (لاوعيه) وهذا ما يتطلب منه ازاحة كل تحكم للوعي عن طريق ما يختزنه لاوعيه من صور ورؤى وأفكار"[٩٠]

ثالثا : الجنون من منظور فلسفي

ان اسهامات الفلسفة في رصد الظواهر الاجتماعية هي قديمة قدم الجنس البشري بطبيعة الحالة ,لذا كان الاهتمام بظاهرة الجنون مبكرا جدا , فهو ينطلق من العصور القديمة ومع اول الفلاسفة اليونان الذين وقفوا عند الجنون وأسبابه , لكن اللافت أن الجنون لم يلق الاهتمام الكافي بصفته موضوعا مستقلا يقابل موضوعا العقل مع أن ولادة مزدوجة (العقلاني وغير العقلاني) التي وضعها افلاطون (٤٢٨-٣٤٨ ق . م) إذ "أدان أفلاطون مثيرات الشهوة بشكل خاص بوصفها العدو الاول للحرية والكرامة البشريتين , وكرست الثنائية التي اقامها –العقلاني وغير العقلاني- أرجحية العقل على المادة وغدت مقولة حاسمة في الفلسفات الكلاسيكية لدى الفلسفات اللاحقة "[٩١] , وقد شايعت هذه الفلسفات الكلاسيكية ومنها - الفيثاغورية والرواقية – شايعت متبنيات افلاطون فوقفت موقف المرتاع من "القوى الأولية والجبارة التي تعطل عمل العقل فإنها عرّت اللاعقلاني ورأته خطيرا وعارا يتوجب على العقل أو الروح مكافحته ومغالبته"[٩٢] .

ويجد البحث أن هذه اللحظة التي اعلن فيها مفهوم (العقلاني وغير العقلاني) هو اشهار لولادة الجنون ,على الرغم من اقتصار الاهتمام والتدارس على جانب أوحد من هذه الثنائية وهو العقلاني , أما غير العقلاني فاصبح في مهب الاهمال وبهذا تعطل الاشتغال والانتباه الى الجنون بصفته اهم تجليات غير العقلاني بل أوضح مصاديقه ومعانيه .

وهذا ما أشار له جملة من الباحثين فنحن "حين نتتبع الخيوط الفلسفية الاولى التي شكلت نواة البحث في ظاهرة الجنون , يكفينا دليلا على تهميش هذه الظاهرة من حيث التناول النظري لها أنها لم تلق الاهتمام نفسه الذي اولي لظاهرة العقل , فقد تميز الأخير باهتمام منقطع النظير عند الأمم التي تصدرت الحضارة , فكان اليونانيون القدماء لكثرة انشغالهم بمباحث العقل قد وصفوا بأنهم – حضارة العقل "[٩٣] ومرد ذلك _ كما يرى البحث _ الى ان الآراء التي افرزتها الفلسفة اليونانية كانت تمثل اللبنة الأولى للوعي الانساني الذي يولي العقل اهتماما يخرجه من الارث الفوضوي الذي يقدس الالهة وينطلق من الماورائيات في كل سكناته وحركاته كما كان متفشيا في تلك الامم وفي ذلك العصر . فليس للجنون من اهمية تذكر اذا ما قورن بالعقل واهميته البالغة عند هؤلاء الفلاسفة الذين انتهجوا العقل منفذا يخرجهم من مأزق كان يفرض سلطة اللاعقل كعامل اوحد يفسر كل ما يدور حوله من الامور .

ثم ظهرت رؤى فلسفية اخرى في الحضارة اليونانية القديمة التي عنيت بالجنون وحاولت تفسير اسبابه وايضاح علله وهي رؤية ابقراط الذي قسم امزجة الانسان الى اربعة امزجة "ان امزجة الناس تقسم الى أربعة امزجة وانطلاقا من عناصر الطبيعة الأربعة :الهواء , التراب ,الماء النار. ويقابلها :- اللمفاوي , الدموي , الصفراوي , العصبي . "[٩٤] وأن الجنون هو

نتاج اعتلال تلك الامزجة واختلالها . ومن هذه الامزجة ينتج الاعتدال والتوازن العقلي , اما اختلالها واعتلالها فهو الأمر الذي سيطيح بالمريض الى هوة (غير العقلاني) ويجرفه تجاه (الجنون).

وانبثقت من تلك الفلسفات اتجاهات سارت بمنهج عقلي قادها الى اكتشافات مهمة على الأصعدة العلمية الأخرى , ومن بين هذه الاصعدة الاكتشافات الطبية التي كانت باكورة أسس الطب اليوناني وستكون سبب تطوره فيما بعد , وتأتي خطاطة الطب الأبقراطي لتعنى بموضوعي الصحة والمرض وتضمنت مرض "الجنون , وهدف الطب الابقراطي الى مساعدة الطبيعة على خلق عقل سليم في جسم سليم , والمحافظة على ذلك "[٩٥] .

ومن هذه اللحظة التي يصطلح بورتر على تسميتها بعصر (طبننة الجنون) فان الجنون يستحيل الى موضوعة طبية طبيعية ويخرج من مفاهيمه الاسطورية القديمة الى دائرة الضوء التي يفرضها ويصنعها المنهج العقلي عند هؤلاء الفلاسفة , ولتظهر مفاهيم وفرضيات تدشن التعامل الموضوعي وتفرض العلل والاسباب منطقا للتعامل مع الامراض والعلل ومن اهمها الجنون فنطالع " يحسن بالرجال ان يعرفوا انه من الدماغ , ولا شيء آخر , تنبثق متعنا ومباهجنا وضحكنا ودعاباتنا وتصدر عنه "[٩٦] وأن الطب الابقراطي يفسر الصحة والمرض من خلال مفهوم الاخلاط " فالجسد خاضع لإيقاعات التطور والتغير اللذين يتحددان بالأخلاط الرئيسية المكبوحة داخل غلاف الجلد , وتنشأ الصحة والمرض من التغير الذي يطرأ على توازنهما وتمثلت هذه الاخلاط ذات الحيوية الذاتية في الدم والصفراء والبلغم والسوداء "[٩٧] .

اما في القرون التي سبقت عصر النهضة وإبّان الفترة التي فرضت فيها الكنيسة مفاهيمها وسلطتها على المجتمع الاوربي , فقد كان من البديهي ان تكون ايماناتها هي المنصة التي تنطلق منها اي محاولة لفهم العقل و اللاعقل متمثلا بالجنون, وقد كان مفهوم اللاهوتيين المسيحيين للعقل متناقضا , فقد "أثنوا على العقل البشري و ذموه في الوقت ذاته , فالإنسان المؤمن لا يحتاج الا الى الايمان والعقيدة "[٩٨] .

وعن فلاسفة عصر النهضة وكتابها "مثل مرسيليو فيتشينو وبيكو ميلا ميراندولا , فقد رأوا ان اولية الانسان في سلسلة الوجود الكبرى كائنة في العقل , بل أنهم أعلوا من منزلة الذكر العقلاني المتمدن وميزوه عن النساء والاطفال والفلاحين "[٩٩] .

أما الانعطافة الاخطر التي شهدها مفهوم (العقل) فحدثت في القرن السابع عشر تحديدا , والى ذلك يشير بورتر " ان القرن السابع عشر , هو الذي برز فيه , دون غيره من القرون , العقل بوصفه عاملا اساسيا في النماذج الفلسفية لدى الانسان "[١٠٠] ويتفق الكثير من الباحثين على ان ديكارت (١٥٩٤م-١٦٥٠م) كان الرائد الابرز في هذا المجال حيث كان العقل هو المنقذ للإنسان من ازماته عبر العصور فكان يوصف بأنه "العقلاني الابرز في تلك الحركة , وقد اقنع نفس بأن العقل وحده كفيل بإنقاذ الانسان من الغرق في الجهل والاضطراب والخطأ "[١٠١] , أما عن افكاره حول العقل فانه ((يساوي بين العقل والروح غير المادية فالأول هو الذي يمنح البشر الوعي والمسؤولية الاخلاقية والخلود , وعل الرغم من انه غير ممكن تحديده بمكان أو مَوضَعَتُه ضمن أطر مكانية لكونه غير مادي , فقد ذهب ديكارت ان العقل يلتحم مع الجسد عند الغدة الصنوبرية))[١٠٢] , وهكذا كان العقل مركزا في الانسان بل في العالم أجمع , فاليه تعزى قدرة الانسان على الفهم والتفوق وصناعة القرارات , لكن يؤخذ على ديكارت أنه لم يفسر للنقاد كيف يتفاعل الجسد والعقل , ومن هنا يولد التباس وضبابية تحيط بمفهوم العقل عنده .

ولو تقصينا عن مفهوم الجنون كما يقدمه ديكارت فان ذلك سيقودنا الى مفهومه للعواطف التي فسرها على انها متوسطة بين العقل والروح, وعن علاقة الاضطرابات العقلية وعلاقتها بالعقل والجسد " فقد عزي الاضطراب العقلي , في التأويلات اللاحقة للجنون , الى التعقيدات او الايهامات المتعلقة بكيفية التقاء العقل بالجسد "[١٠٣] وهنا يصبح الجنون علة جسدية لا

علاقة للماورائيات بها وليس لمس الشيطان يدا فيها , ثم صار التفكير بالجنون بعد هذه الفرضية من تخصصات حقلي الطب والفلسفة وهي لحظة هامة في تاريخ الجنون .

وحين يناقش فوكو مفهوم الجنون كما يقدمه ديكارت فنجده يعلن "أن عصر النهضة قد اعاد الى الجنون صوته ولكنه تحكم في مصادر عنفه , وأن العصر الكلاسيكي هو القادر على اسكاته بقوة غريبة"[١٠٤] . ثم يشرع في تحليل مفهوم ديكارت حول الجنون بقوله "وها هو ديكارت يصنف الجنون , ضمن رحلة الشك عنده , الى جانب الحلم وكل اشكال الخطأ "[١٠٥] , ومن المسلمات ان فلسفة ديكارت قد استبعدت كل وسائل المعرفة عدا العقل , فهو يشكك في كل الحواس وما ينتج عنها , ومن قم يعطي العقل سلطة التشكيك بها وفرز الحقائق التي لا تقبل الشك بصفته الغربال الوحيد للحقيقة .

فالمجنون يمكن ان يفقد جسده وبالتالي فهو يفقد عقله ويفقد مع عقله كل الحقائق " الا يمكن ان تؤدي امكانية ان يكون المرء مجنونا ان يفقد جسده , تماما كما يمكن للعالم الخارجي ان يتسلل الى الخطأ , أو يغفو الوعي داخل الحلم"[١٠٦] , وبهذا يطرح فوكو امكانية ان يكون المجنون مضللا بشأن جنونه وليس قادرا على ادراك هذه الحقيقة , فهو لا يملك آلة البت بالحقائق الوحيدة وهي العقل .

وبما ان ديكارت يشكك حتى بقضية الوعي ذاته ويقترح خطر الجنون كحقيقة وحيدة موجودة دون ان يشعر بها المجنون نفسه لأنه فاقد لآلة تمييز الحقائق , ان الجنون " من بين كل الأوهام يرسم مسالك للشك , هي ما نصادفه بشكل كبير في القرن السادس عشر , لسنا متأكدين دائما أننا لانحلم , ولسنا متأكدين بالقطع أننا لسنا مجانين , وكم من مرة ادركنا وجود تناقضات في احلامنا "[١٠٧] و وفق هذه الفكرة التي يسميها فوكو باليقين " لقد ادرك ديكارت ذلك اليقين وهو الآن يتمسك به بقوة ولم يعد الجنون يعنيه , وسيكون من البله افتراض ان المرء احمق فالجنون باعتباره تجربة للفكر يستدعي نفسه بنفسه , وبالتالي فانه يصنع نفسه خارج المشروع . وبهذا فقد زال خطر الجنون من الممارسة العقلية "[١٠٨] وهذا اليقين يدفع فوكو الى ان يقترح العبارة "لأنني أنا الذي يفكر لا يمكنني أن اكون مجنونا"[١٠٩] .

وعن النقد الذي واجهته فلسفة ديكارت فان ابرز الآراء التي تناولت نظريته هو ما كتبه جون لوك في كتابه (مقال في الفهم الانساني) وقد تناول نظرية العقل الخالص , حيث اعتقد "بأن كل الافكار تأتي من الادراكات الحسية عبر النظر والذوق واللمس والسمع والشم , فلما كان العقل صفحة بيضاء ابتداء , فانه يتشكل عبر الخبرة ويتغذى بالمعلومات "[١١٠] , وعلى هذا فأن كل المعتقدات الخاطئة التي جعل لوك من ضمنها الساحرات والعفاريت , ماهي الا نتاج الترابطات المغلوطة للأفكار وهكذا كانت هذه الفكرة التي قدمها لوك تعليلا يرقى الى درجة العلمية والموضوعية ويهيئ المقدمات التي تخوله ان يحكم على الجنون ,بأنه " ليس أمرا شيطانيا أو خللا خلطيا وانما امر وهمي بالأساس , وخطأ في الادراك , لا في الارادة أو العاطفة . فالمجنون يقول لوك يربط بين الافكار الخاطئة ويقدم استتباعا افتراضات ومسائل خاطئة , لكنه يبني تفكيرا سليما انطلاقا منها , اما البله فأنهم لا يقدمون الا القليل من الافتراضات والاطروحات وهم لا يمارسون التفكير البتة "[١١١] وحازت افكار لوك تقديرا في حينها وكانت علامة دالة في عصر التنوير .

الخاتمة والنتائج :-

ان مفهوم الجنون ليس بالمفهوم الحديث , فقد عرفت الحضارات القديمة الجنون وميزت المجنون عن اقرانه من الاسوياء وتعاملت معه معاملة خاصة , ومفهوم الجنون ورغم قدم التأسيس العقلي له , الا انه ينماز بالمخاتلة والغموض احيانا ويشتبك ويتماهى مع الكثير من المفاهيم الاخرى التي تدل على اختلال عقلي (بايولوجي) او فقدان الاتزان النفسي والاضطرابات النفسية (كالبله , الوسوة ,الفصام...) , وقد كان المجنون مهمشا اجتماعيا في تاريخ الجنون قديما وحديثا والى ذلك اشار الكثير من الفلاسفة والمهتمين بالدراسات الاجتماعية وفي الريادة كانت كتابات الفيلسوف والمفكر الفرنسي ميشال فوكو عن الجنون في كتابه الشهير (تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي) .

والجنون يطلق على الشخص المجنون استنادا الى اسلوبه او مظهره او كلامه . او يطلق على من يتبنى طرحا مغايرا عما تتبناه بيئته ومجتمعه . يقصى المجنون وقد يهمش في مجتمعات كثيرة , ويمكن القول ان المجتمع يقف ازاء الجنون والمجنون موقفين اساسيين , فينحاز او يناصب المجنون العداء استنادا الى الايديولوجيات والافكار الرائجة في ذلك العصر وتلك الدولة , واستفادت السلطة من تماهي علامات الجنون ومنها (الهيئة الخارجية) مع فئات اجتماعية اخرى كالمتسولين والمجذومين وممتهني الكدية , لتستثمر هذا التماهي في اقصاء المناوئين لسياساتها باتهامهم بالجنون وحجزهم في المصحات النفسية ومثل هذه السياسة كانت شائعة في اوربا والشرق وفي الحضارة العربية .

يعرف الجنون بالمفهوم الفلسفي بأنه " الجنون هو الخلل العقلي الشديد، وقيل هو زوال العقل ، أو فساده" .ويشغل الجنون بصفته (ظاهرة) حيزا كبيرا من التاريخ الانساني ويمتزج مع الكثير من الظواهر الاخرى وابرزها الظواهر الدينية الغرائبية عند بعض الاديان القديمة وربما الحديثة ايضا . بل يقترب ليتماهى مع الكثير من الطقوس الدينية القديمة وطقوس اخرى متعلقة بالأساطير بشكل عام .

وقد ارتبط الجنون بظواهر اجتماعية كثيرة فقد "تم ربط العنف , والاسى والتعطش للدماء , والوحشية دائما بالجنون " , ولا يقف هذا المعنى والفهم عند امة من الامم بل يتفشى في العديد من الحضارات الاخرى . ويبدأ (الجنون) بالتسرب الى مخيال الوعي البشري والتشكل على هيأة (حالة) من المرض التي يمكن ان توظف في وظيفة اقرب الى مفهوم (القناع) في الادب الحديث وهو أمر شائع في الادب العربي وآداب الامم الأخرى , الامر الذي اتاح لشخصية المجنون رواجا كبيرا في النتاجات الادبية في كل فنون الادب قديما وحديثا , ويمكن الادعاء بأن الجنون لم ينل الاهتمام والدراسة الكافيين في الدراسات العربية تحديدا , ويحتاج المفهوم الى مزيد من التأصيل والبحث للوصول الى تحديد ملامحه في الاصطلاحات الادبية والفلسفية والنفسية وربما حتى الطبية .

الهوامش :-

[1] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ترجمة ناصر مصطفى , هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ,٢٠١٢م ,الطبعة الأولى , ص٤٧.
[2] المصدر السابق , ص٤٨ .
[3] الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية الى اواخر القرن الرابع ,احمد المخصوصي ,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ,١٤١٣ه-١٩٩٣م , بيروت ,الطبعة الاولى , ص٦ .
[4] ترتيب كتاب العين , للخليل بن احمد الفراهيدي , الجزء الاول , تحقيق .د. مهدي المخزومي- د. ابراهيم السامرائي , انتشارات اسوة , طهران, ١٤٣٢ ه , الطبعة الثالثة , ص٣٢٣-٣٢٤ .
[5] لسان العرب , ابن منظور ,المجلد الثالث عشر ,نشر ادب الحوزة , ١٤٠٥ه , قم ايران , ص٩٦-٩٧ .
[6] المصدر السابق , ص٤٢٢ .
[7] شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، جمع ودراسة –اطروحة دكتوراه جامعة الديوانية ,علي كاظم المدني ,ص٥ .
[8] لسان العرب : مادة جنن ,ابن منظور الانصاري ,دار احياء التراث العربي ,بيروت٠لبنان ,١٤١٩م ,الجزء الثالث ,ص٤٤٣ .
[9] لسان العرب : مادة جنن .
[10] لسان العرب : مادة جنن .
[11] الحيوان , الجاحظ , دار الكتب العلمية , بيروت-لبنان ,٢٠٠٣م-١٤٢٤ه,الطبعة الثانية , الجزء الثالث ,ص١٠٨و١٠٩ .
[12] الحمق والجنون : الخصخوصي ,ص٤٤ .
[13] الامتاع والمؤانسة , ابو حيان التوحيدي ,اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي , دار احياء التراث العربي ,بيروت- لبنان , الجزء الاول , ص١٣٥.
[14] عقلاء المجانين , لابي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت٤٠٦ه) , تحقيق الدكتور عمر الاسعد ,دار النفائس ,بيروت –لبنان , ١٤٠٧ه-١٩٨٧م , الطبعة الاولى ,الجزء الأول , ص١٢ .
[15] ,المصدر السابق , ص ٣٠ – ص٣١ .
[16] المصدر السابق , ص٣١ .
[17] القرآن الكريم ,سورة الذاريات ,الآيتين الكريمتين ٣٨-٣٩ .
[18] كنز الكتاب ومنتخب الآداب , ابي اسحاق ابراهيم بن ابي الحسن علي بن احمد الفهري الشريشي المعروف بالبونسي , تحقيق ودراسة حياة شرارة , المجمع الثقافي , ابو ظبي ,٢٠٠٤م , الجزء الثاني ,ص٥٤٠ .
[19] المصدر السابق , ص٥٤٢.
[20] معجم التعريفات , علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ت (٨١٦ه-١٤١٣م) , تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة , القاهرة ,ص٧٠-ص٧١ .
[21] المصدر السابق , ص١٧١ .
[22] الكليات –معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , ابي البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ت(١٠٩٤ه-١٦٨٣م) , قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش و محمد المصري , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان , ١٤١٩ه-١٩٩٨م , الطبعة الثانية , ص٣٤٩ .
[23] المعجم الفلسفي , جميل صليبا , دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت-لبنان , ١٩٨٢م , الطبعة الاولى ,الجزء الاول ,ص٤١٨ .
[24] المصدر السابق , الصفحة نفسها .
[25] الاسطورة في الفكر العربي المعاصر :المدخل الى علم ميثولوجيا مستقل , سمية الجندي , مجلة المعرفة , وزارة الثقافة السورية ,عدد(٤١١),١٩٩٧,ص٧١ .
[26] الاسطورة والايديولوجيا , د امل مبروك , دار التنوير للطباعة والنشر ,٢٠١١م , الطبعة الاولى , ص٢١ .

[٢٧] المصدر السابق , ص٣٢ .
[٢٨] الاسطورة والاحلام والاسرار , مرسيا الياد , ترجمة : حسيب كاسوحة , منشورات وزارة الثقافة ,الجمهورية السورية ,دمشق ,٢٠٠٤م , ص٧ .
[٢٩] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ترجمة ناصر مصطفى ,ص١٩ .
[٣٠] نقلا عن المصدر نفسه , الصفحة نفسها (وقد رجعت الى الكتب المقدسة –العهد القديم والعهد الجديد, ووجدت في (العهد الجديد) سفر صاموئيل الاول١٣:٢١ "فغير عقله في اعينهم وتظاهر بالجنون" وفي سفر زكريا١٢:٤" في ذلك اليوم , يقول الرب, اضرب كل فرس بالحيرة وراكبه بالجنون , وافتح عيني على بيت يهوذا " .

[٣١] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ص١٩ .
[٣٢] تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا , كلود كيتيل ,ترجمة سارة رجائي يوسف و كريستينا سمير فكري, مراجعة داليا محمد الطوخي , ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ,جمهورية مصر العربية ,٢٠١٥م , الطبعة الاولى, ص١٦ .
[٣٣] تاريخ الاسطورة ,كارين ارمسترونغ ,ترجمة الدكتور وجيه قانصو ,الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان,٢٠٠٨م , الطبعة الاولى , ص٨٦.
[٣٤] المصدر السابق , ص٩١.
[٣٥] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر ,ص١٩
[٣٦] المصدر السابق ,ص٢١.
[٣٧] المصدر السابق ,ص٢١ .
[٣٨] المصدر السابق ,ص٢١
[٣٩] المصدر السابق ,(بتصرف) , ص٢٤ .
[٤٠] تاريخ الجنون , كلود كوتيل , ص١٧ .
[٤١] المصدر السابق , ص٢٥.
[٤٢] الأدب والجنون –كتابات نقدية, د٠ شاكر عبدالحميد , الهيئة العامة لقصور الثقافة , مكتبة النقد الادبي , مصر- القاهرة , ١٩٩١م , الطبعة الاولى , ص١٦ .
[٤٣] صورة المجنون في المتخيل العربي لغاية القرن الرابع الهجري –اطروحة دكتوراه ,د. وسام حسين جاسم العبيدي , جامعة بابل ,١٤٤٣ه-٢٠١٣ م , ص٣٨ .
[٤٤] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
- وقد رجعت الى المصادر التي تقر قضية التحريف :- على سبيل المثال :-دلائل تحريف الكتاب المقدس- الجزء الاول , د. شريف سالم ,ص١٠ .

[٤٥] العهد القديم , سفر دانيال ,الاصحاح الرابع :١١٠٩ .
[٤٦] العهد القديم , سفر دانيال ,الاصحاح الرابع :١١٢٥ .

[٤٧] العهد القديم , سفر دانيال ,الاصحاح الرابع :١١٢٥ .
[٤٨] تاريخ الجنون , كلود كوتيل ص٢١.
[٤٩] تاريخ الجنون , كلود كوتيل ص٢٢ .
[٥٠] تاريخ الجنون , كلود كوتيل ص٢٢ .

[٥١] العهد القديم , سفر صاموئيل, الاصحاح ١٦-٢٣ .
[٥٢] تاريخ الجنون , كلود كوتيل ص٢٢
[٥٣] تاريخ الجنون , كلود كوتيل ص٢٢
[٥٤] العهد الجديد , متى ١٧-١٨ .
*لقراءة القصة , ينظر تاريخ الجنون , كلود كوتيل , ص٢٢ .
[٥٥] تاريخ الجنون , كلود كوتيل , ص٢٣ .
[٥٦] تاريخ الجنون , كلود كوتيل , ص٢٣
[٥٧] صورة المجنون في المتخيل العربي حتى القرن الرابع الهجري (اطروحة دكتوراه) , د. وسام حسين جاسم العبيدي , ص٥٣ .

[٥٨] صورة المجنون في المتخيل العربي حتى القرن الرابع الهجري (اطروحة دكتوراه) , د. وسام حسين جاسم العبيدي , ص٥٣ .
[٥٩] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص١١ (المقدمة بقلم مترجم الكتاب –سعيد بنكراد) .
[٦٠] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي, ميشيل فوكو , ص١١ (المقدمة بقلم مترجم الكتاب –سعيد بنكراد) .
[٦١] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص١٣٣ .
[٦٢] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص١٣٣ .
[٦٣] المصدر نفسه , الصفحة نفسها.
[٦٤] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٦٥] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص١٨٥ .
[٦٦] المصدر نفسه ,الصفحة نفسها .
[٦٧] المصدر نفسها ,ص١٨٦-١٨٩ .
[٦٨] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ص٤٤ .
[٦٩] الجنون بين الحقيقة والخيال , د محمد حسن الغانم , ص١٠ .
[٧٠] صورة المجنون في المتخيل الغربي لغاية القرن الرابع الهجري , اطروحة دكتوراه , وسام حسين جاسم العبيدي .
[٧١] الجنون بين الحقيقة والخيال , د. محمد حسن غانم . ص٤ .
[٧٢] الاغاني , ابو فرج الاصبهاني ,٢٠/١٩ .
[٧٣] المؤتلف والمختلف ,علي بن عمر الدار قطني أبو الحسن, تحقيق-موفق بن عبدالله بن عبدالقادر ,دار الغرب الاسلامي , ١٩٨٦م ,الطبعة الاولى , المجلد الأول, ص ٢٣٣-٢٣٥ .
[٧٤] تاج العروس :٣٩٠/٢٨
[٧٥] ديوان مجنون ليلى ,جمع وترتيب ابي بكر الوالي , تحقيق وشرح جلال الدين الحلبي , مطبعة مصطفى الباقي الحلبي واولاده , مصر ,١٩٣٩م , ص١٢ .
[٧٦] شعر الموسوسين في التراث العربي , د. علي المدني ,ص٧٢ .
[٧٧] نقلا عن شعر الموسوسين في التراث العربي , د. علي المدني ,ص٧٢ .
[٧٨] نقلا عن شعر الموسوسين في التراث العربي , د. علي المدني ,ص٧٣ .
[٧٩] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٨٠] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٨١] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر .ص٨٢ .
[٨٢] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٨٣] صورة المجنون في المتخيل العربي , وسام حسين جاسم العبيدي , ص٦٦
[٨٤] حركية الابداع –دراسات في الادب العربي الحديث , د .خالدة سعيد , دار الفكر للطباعة والتوزيع , الطبعة الثالثة ,١٩٨٦م , ص٣٤ .
[٨٥] حركية الابداع –دراسات في الادب العربي الحديث , د .خالدة سعيد , دار الفكر للطباعة والتوزيع , الطبعة الثالثة ,١٩٨٦م , ص٣٤ .
[٨٦] حفريات الخطاب في البيانات المهمشة , آلاء السعدي , دار قناديل, العراق –بغداد , ٢٠١٨م ,الطبعة الاولى, ص١٩٩ .
[٨٧] المصدر نفسه , الصفحة نفسها.
[٨٨] المصدر نفسه ,الصفحة نفسها .
[٨٩] نقلا عن (صورة المجنون في المتخيل العربي ,وسام حسين جاسم العبيدي , ص٧٤ , ينظر , السريالية والجنون , سمير غريب , مجلة عالم الفكر , الكويت, اكتوبر,١٩٨٧ م :٢١٣ .
[٩٠] صورة المجنون في المتخيل العربي ,وسام حسين جاسم العبيدي , ص٧٤ .
[٩١] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ص٤٨ .
[٩٢] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٩٣] صورة المجنون في المتخيل العربي ,وسام حسين جاسم العبيدي , ص٤١ .

[٩٤] الشخصية الانسانية من العناصر الاربعة الى الامزجة الاربعة , جودت شاكر محمود , الحوار المتمدن(مجلة الكترونية ,١٦-١١-٢٠١١م .
[٩٥] موجز في تاريخ الجنون , روي بورتر , ص٤٩ .
[٩٦] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[٩٧] المصدر نفسه ,ص٥٠ .
[٩٨] موجز في تاريخ الجنون , روي بورتر , ص ٦٨
[٩٩] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
*جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا ولد في(٢٤) فبراير ١٤٦٣ م الى ١٧ نوفمبر ١٤٩٤ , فيلسوف لاهوتي ومفكر ايطالي ثالث ابناء عائلة ارستقراطية . قام بدراسة وتلخيص افكار اهم المدارس الفلسفية المعروفة في زمانه ومن اتباع الافلاطونية الحديثة (مدرسة المشائين) .
*مارسيليو فيسينو (١٩) اكتوبر ١٤٣٣م – (١) اكتوبر ١٤٩٩ . احد الفلاسفة الانسانيين الاكثر نفوذا في اوائل عصر النهضة الايطالية واحد علماء الفلك ومحيي الافلاطونية الحديثة وكان على اتصال مع كل مفكر اكاديمي وكاتب رئيسي في يومه وكان اول مترجم لأعمال افلاطون الى اللغة اللاتينية وكان صاحب اكاديمية فلورنسا التي كانت محاولة لأحياء مدرسة افلاطون ذات تأثير كبير على اتجاه وفحوى عصر النهضة ومن اهم المؤسسين ل الافلاطونية الجديدة وله دور اساسي في تطور الفلسفة الاوربية .
[١٠٠] موجز في تاريخ الجنون , روي بورتر , ص ٧٧ .
[١٠١] المصدر نفسه , ص ٦٨ .
[١٠٢] المصدر نفسه , ص٧٠.
[١٠٣] موجز في تاريخ الجنون , روي بورتر , ص ٧٠ .
[١٠٤] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص٦٨ .
[١٠٥] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[١٠٦] المصدر نفسه , ص٧٠.
[١٠٧] المصدر نفسه , الصفحة نفسها .
[١٠٨] تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي , ميشيل فوكو , ص ٧١ .
[١٠٩] المصدر نفسه , ص ٧٠ .
[١١٠] موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ص٧٢ .
[١١١] المصدر نفسه ,الصفحة نفسها .

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم .
- العهد القديم .
- العهد الجديد .

١. موجز تاريخ الجنون , روي بورتر , ترجمة ناصر مصطفى , هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ,٢٠١٢م ,الطبعة الأولى .
٢. الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية الى اواخر القرن الرابع ,احمد المخصوصي ,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ,١٤١٣هـ-١٩٩٣م , بيروت ,الطبعة الاولى .
٣. ترتيب كتاب العين , للخليل بن احمد الفراهيدي , الجزء الاول , تحقيق .د. مهدي المخزومي- د. ابراهيم السامرائي , انتشارات اسوة , طهران, ١٤٣٢ ه , الطبعة الثالثة .
٤. لسان العرب : مادة جنن ,ابن منظور الانصاري ,دار احياء التراث العربي ,بيروت٠لبنان ,١٤١٩م ,الجزء الثالث الطبعة الاولى .
٥. شعر الموسوسين في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، جمع ودراسة –اطروحة دكتوراه جامعة الديوانية ,علي كاظم الاسطورة في الفكر العربي المعاصر :المدخل الى علم ميثولوجيا مستقل , سمية الجندي , مجلة المعرفة , وزارة الثقافة السورية ,عدد(٤١١),١٩٩٧
٦. المدني .
٧. كتاب الحيوان , الجاحظ , دار الكتب العلمية , بيروت-لبنان ,٢٠٠٣م-١٤٢٤ه,الطبعة الثانية , الجزء الثالث .
الطبعة الثانية . تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا , كلود كيتيل ,ترجمة سارة رجائي يوسف و

كريستينا سمير فكري, مراجعة داليا محمد الطوخي , ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ,جمهورية مصر العربية ,٢٠١٥م , الطبعة الاولى

٨. الامتاع والمؤانسة , ابو حيان التوحيدي ,اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي , دار احياء التراث العربي ,بيروت-لبنان , الجزء الاول , الطبعة الاولى .

٩. عقلاء المجانين , لابي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت٤٠٦ه) , تحقيق الدكتور عمر الاسعد ,دار النفائس ,بيروت تاريخ الاسطورة ,كارين ارمسترونغ ,ترجمة الدكتور وجيه قانصو ,الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان,٢٠٠٨م , الطبعة الاولى –لبنان , ١٤٠٧ه-١٩٨٧م , الطبعة الاولى ,الجزء الأول .

١٠. كنز الكتاب ومنتخب الآداب , ابي اسحاق ابراهيم بن ابي الحسن علي بن احمد الفهري الشريشي المعروف بالبونسي , تحقيق ودراسة حياة شرارة , المجمع الثقافي , ابو ظبي ,٢٠٠٤م , الجزء الثاني , الطبعة الثانية .

١١. معجم التعريفات , علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ت (٨١٦ه-١٤١٣م) , تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة , القاهرة .

١٢. الكليات –معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , ابي البقاء ايوب بن موسى الحسيني الكفوي ت(١٠٩٤ه-١٦٨٣م) , قابله على نسخة خطية واعده للطبع ووضع فهارسه الدكتور عدنان درويش و محمد المصري , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان , ١٤١٩ه-١٩٩٨م , الطبعة الثانية .

١٣. المعجم الفلسفي , جميل صليبا , دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع ,بيروت-لبنان , ١٩٨٢م , الطبعة الاولى ,الجزء الاول .

١٤. الاسطورة والايديولوجيا , د امل مبروك , دار التنوير للطباعة والنشر ,٢٠١١م , الطبعة الاولى .

١٥. الاسطورة والاحلام والاسرار , مرسيا الياد , ترجمة : حسيب كاسوحة , منشورات وزارة الثقافة ,الجمهورية السورية ,دمشق ,٢٠٠٤م .

١٦. تاريخ الجنون من العصور القديمة وحتى يومنا هذا , كلود كيتيل ,ترجمة سارة رجائي يوسف و كريستينا سمير فكري, مراجعة داليا محمد الطوخي , ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ,جمهورية مصر العربية ,٢٠١٥م , الطبعة الاولى .

١٧. تاريخ الاسطورة ,كارين ارمسترونغ ,ترجمة الدكتور وجيه قانصو ,الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان,٢٠٠٨م , الطبعة الاولى .

١٨. صورة المجنون في المتخيل العربي لغاية القرن الرابع الهجري –اطروحة دكتوراه ,د. وسام حسين جاسم العبيدي , جامعة بابل ,١٤٤٣ه-٢٠١٣ م .

١٩. الجنون بين الحقيقة والخيال , د. محمد حسن غانم .

٢٠. الاغاني , علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم ابو الفرج الاصبهاني , دار احياء التراث العربي, بيروت لبنان , الطبعة الاولى ١٤١٥هـ .

٢١. المؤتلف والمختلف ,علي بن عمر الدار قطني أبو الحسن, تحقيق-موفق بن عبدالله بن عبدالقادر ,دار الغرب الاسلامي , ١٩٨٦م ,الطبعة الاولى , المجلد الأول .

٢٢. ديوان مجنون ليلى ,جمع وترتيب ابي بكر الوالي , تحقيق وشرح جلال الدين الحلبي , مطبعة مصطفى الباقي الحلبي واولاده , مصر ,١٩٣٩م .

٢٣. حركية الابداع –دراسات في الادب العربي الحديث , د .خالدة سعيد , دار الفكر للطباعة والتوزيع , الطبعة الثالثة ,١٩٨٦م .

٢٤. حفريات الخطاب في البيانات المهمشة , آلاء السعدي , دار قناديل, العراق –بغداد , ٢٠١٨م ,الطبعة الاولى .

٢٥. الشخصية الانسانية من العناصر الاربعة الى الامزجة الاربعة , جودت شاكر محمود , الحوار المتمدن(مجلة الكترونية ,١٦-١١-٢٠١١م .

٢٦. الأدب والجنون –كتابات نقدية, د٠ شاكر عبدالحميد , الهيئة العامة لقصور الثقافة , مكتبة النقد الادبي , مصر-القاهرة , ١٩٩١م , الطبعة الاولى .